

سفراء المسيح



أو.س. فون بيبرا

سفراء المسيح

بقلم

أو. س. فون بيبرا

نشيد المحبة

إن كنت أتكلم بألسنة الناس
والملائكة ولكن ليس لي محبة
فقد صرت نحاساً يطن وصنجاً يرن.

وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار
وكل علم وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل
الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً

وإن أطعمت كل أموالي وإن
سلمت جسدي حتى أحترق ولكن
ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً

المحبة تتأنى وترفق. المحبة لا تحسد. المحبة
لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب
ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح
بالإثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء
وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر
على كل شيء. المحبة لا تسقط أبداً.

رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس الأصحاح ١٣

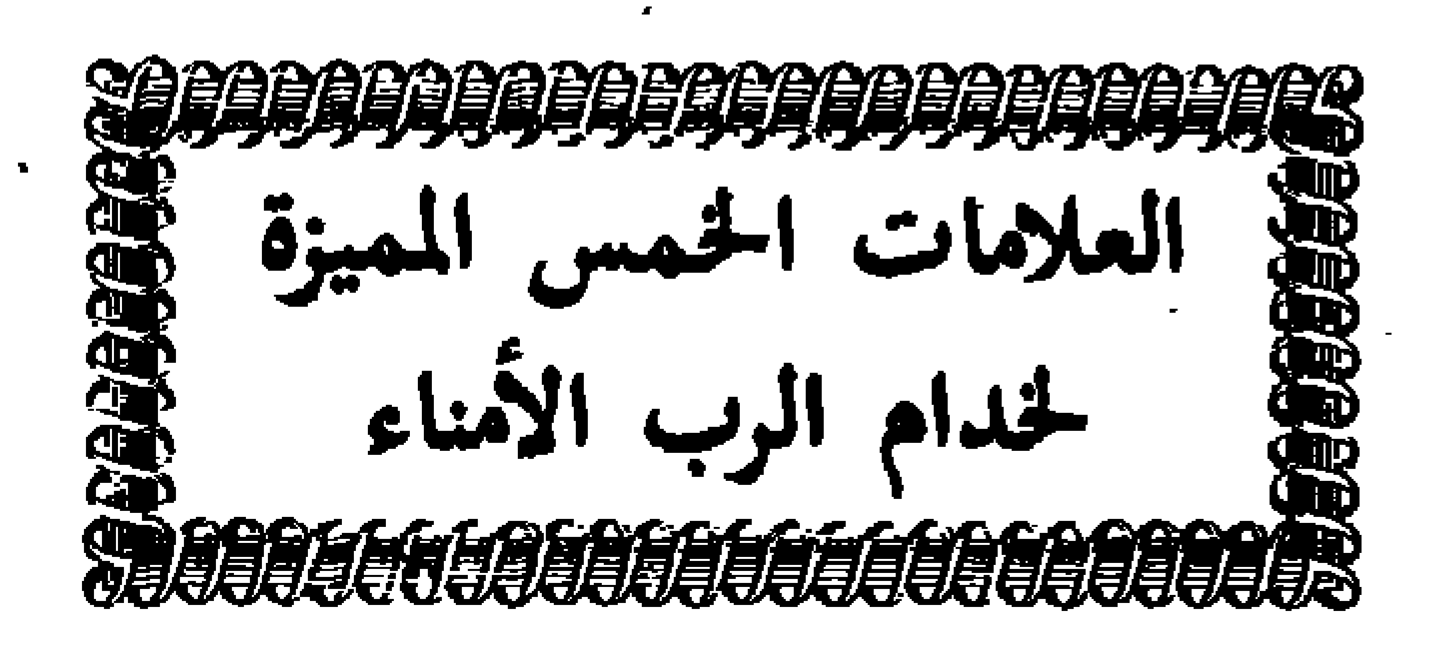
عندما نتأمل في هذه الآيات الهامة سنعترف بأننا كثيراً ما نستعمل في حياتنا المسيحية مقاييس بشرية بعيدة عن روح الانجيل، مقاييس طائفية ولاهوتية وتاريخية. والأمر المؤسف هو أننا نحكم غالباً في حياتنا المسيحية بحسب مقاييس التدين التقليدي وبحسب علم اللاهوت الشائع كعلم جاف قائم بذاته. وهذا ما أوصلنا إلى الجمود الروحي والاكتفاء الفردي والبر الذاتي وغير ذلك من الأمور الشائعة في كنائسنا في هذا العصر. فإننا نفتقر إلى التوجيه الإلهي لأننا أهملنا المقياس الأصلي الروحي. فنحن بلا شك في حاجة إلى الإيمان الحقيقي والتعليم الصحيح للحصول على الخلاص ولبقاء الكنيسة ودوام رسالتها. ولكننا نحتاج أن نفهم من كتاب العهد الجديد أن المقياس الذي به يقيس الرب كنيسته، ليس هو التعليم الصحيح وممارسة الأسرار، ولا هو الإيمان (١كو ١٣:٢)، ولا هو مواهب الروح القدس، مثل التنبؤ أو التكلم بألسنة، بل هو **المحبة الإلهية** وحدها. لأن الرب يقول: «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضكم لبعض» (يو ١٣:٣٥ وقارن أيضاً ١يو ١٤:٣ ورؤيا ٢:٤).

لقد حان الوقت الذي فيه يترتب على الكنيسة أن ترجع إلى المقياس الإلهي الصريح، والذي لا يقبل تحويلاً، لئلا تعود الكنيسة وتتورط وتقع في حبائل الغرور. ولكن علينا نحن خدام الانجيل ورعاة الكنيسة قبل غيرنا، أن نقيس حياتنا الخاصة بهذا المقياس. وبناءً عليه، يجب علينا أن نضع في نور كلمة الله خدمتنا، التي لا يمكننا أن نفهمها تماماً، إلا متى علمنا **أن المحبة الإلهية هي نقطة الانطلاق ومحور الخدمة**، وأننا لا يمكننا أن نقوم بها إلا بقوة هذه المحبة وحدها.

فلنفحص إذن جوهر خدمتنا من الوجوه الخمسة التالية:

أساسها ــ مؤهلاتها ــ مضمونها ــ غايتها ــ ونتائجها.

وهدفنا من ذلك، ليس هو رسم صورة مثالية، ولا وصف الحقيقة التي نختبرها، بل هو بيان المقياس الوحيد، الذي يقرره الكتاب المقدس. فنحن لا نفحص أنفسنا على قياس التقاليد الكنسية، ولا الاختبارات الشخصية، ولا الاختبارات المقتبسة من تاريخ الكنيسة، ولا أساليب التدين المختلفة، بل على قياس الكلمة الإلهية الصريحة، العهد الجديد، الكلمة فقط.



العلامات الخمس المميزة لخدام الرب الأمناء

أولاً: أساس خدمتهم

إن خدمة الكلمة لا تعني أن خادم الكلمة خادم لشيء ما، بل خادم للرب، لأن الرب هو نفسه الكلمة (يو ١:١، رؤ١٩ :١٣). **فالذي يريد أن يدخل في خدمة الرب المقدسة، يجب أن يكون مدعوّاً من الرب ذاته.** فإن الله الثالوث الأقدس، قد احتفظ لنفسه بحق دعوة سفرائه. وأما من يحاول أن يخدم الله بدون الدعوة الإلهية، فليحذر أن لا يتم فيه قول الرب في (إرميا ٢٣ :٢١) «لم أرسلهم، بل هم جرُوا، لم أتكلم معهم، بل هم تنبأوا. ولو وقفوا في مجلسي، لردُّوا شعبي عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم».

وإثباتاً لذلك يبين لنا الرسول بولس بوضوح في (أف ٤ :١١) أن الرب نفسه هو الذي يعيِّن في كنيسته الخدمات المتعددة. فالرسول يضع أهمية كبرى على حقيقة دعوته الإلهية الخاصة بقوله: «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان

بل بيسوع المسيح والله الآب» (غل ١:١). وعلى غير الرسل أيضاً أن يتأكدوا من أساس خدمتهم ودوافع أعمالهم.
ونجد أيضاً في بقية رسائل بولس، أنه يبيّن المرة بعد الأخرى أن الله وحده له حق إرسال شهود المسيح الحقيقيين. ففي (٢كو ١٧:٢) يقول «لأننا لسنا كالكثيرين غاشين كلمة الله، لكن كما من إخلاص بل كما من الله نتكلم أمام الله في المسيح».

قال الأستاذ اللاهوتي شلنك بصدد كلمة المسيح القائم من الأموات «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا (يوحنا ٢١:٢٠): هذه الكلمة تحول الناس الخطاة إلى سفراء المسيح ... وهذا لايمكن أن يتصوره إنسان ... أما من يجعل نفسه سفيراً، فهو يجدّف على الله تجديفاً مريعاً ... فسفراء الله يعيّنهم الله وحده».

وقال لوثر في تفسيره لرسالة رومية: «ما دامت الوظائف المقدسة سامية بهذا المقدار، فمن الواضح أن علينا أن نحذر من الدخول في إحداها بدون دعوة إلهية، أكثر مما نحذر من الوقوع في أشنع أخطار الدنيا والآخرة. لا بل يجب أن نعتبره أشد الأخطار وأعظمها. ولكن ياللأسف، لقد زال الشعور بذلك عند الكثيرين، الذين لايعيرون ذلك أدنى تفكير أو اهتمام! ومادام المدعوون أنفسهم مخاطين بالمخاطر، فماذا نقول عن الآخرين؟ وأين يكون مصيرهم؟ الويل لأولئك التعساء!».

وبذلك تمتاز خدمة الكلمة على كل الوظائف العالمية الأخرى. فإذا أراد الإنسان أن يصبح قاضياً أو مدَّعياً عاماً، يكفيه أن يتعلم بعض الفصول من علم الحقوق، وأن يجتاز الامتحانات المطلوبة، وبعد أن ينهي الدورة التدريبية، تستخدمه الحكومة. وكذلك فإنه بإمكان الإنسان أن يصير محامياً أو مهندساً أو معلماً أو فناناً أو فلاحاً أو حتى كاهناً أو لاهوتياً، بمجرد عزمه على ممارسة هذه المهنة. ولكن بحسب العهد الجديد، لا يستطيع أحد أن يصير خادماً لكلمة الله إلا متى دعاه الله مباشرة. وإذا لم يتم الحصول على هذه الدعوة الإلهية لا يكون للرسامة أي فائدة.

وليس المهم أن يعرف الشخص كيف ومتى اختبر دعوة الله له، إنما المهم أن يكون متأكداً من نوالها فعلاً. إذ أنه ليس في إمكاننا أن نحدِّد نحن الطرق المتنوعة، التي بواسطتها يدعو الله الناس إلى خدمته، وليس لدينا جواب قاطع على السؤال الذي يبحث في كيفية تأكد الإنسان من دعوته الإلهية. ولكن مما لاشك فيه أنها لا تتم بمجرد التوظيف الرسمي في الكنيسة. **فالرب الإله لا يسمح لأحد أن يملي عليه تعيين من يريد أن يدعوه للعمل في كرمه، وهو غير مضطر**

أن يصادق على خدمة أصحاب الرتب الكنسيّة بواسطة الرسامة أو التوظيف إن لم يرسلهم هو، إذ أنه يحتفظ لنفسه بهذا السلطان المطلق، ويدعو شهوده بموجب قصده الإلهي حيناً وحيناً يشاء. وبديهي أن الله متى دعا خادمه، فعلى الجماعة أن توافق على دعوته وإرساله. وكثيراً ما كانت هذه الموافقة سبب تعزية عظيمة وسنداً للكثيرين في الأوقات الحرجة.

ومن الواضح أن العهد الجديد لا يشترط لقبول الطالب النجاح في الامتحانات اللاهوتية، بل الدعوة الاختبارية بالروح القدس (أع ١٣:١—٣، ٢٠:٢٨). وقد فرض الكتاب المقدس على الجماعة، أن تفحص وتتأكد من حقيقة هذه الدعوة (قابل رؤيا ٢:٢).

قال الأستاذ إميل برنر[١]: كان يعيَّن للخدمة في زمن بولس الرسول، من حصل على موهبة الروح القدس فقط. أما الآن فالحصول على الروح للقيام بوظيفة كنسيَّة معيَّنة، صار مرتبطاً

---

(١) وُلد عام ١٨٨٩ وكان من اللاهوتيين البارزين في الكنيسة الانجيلية المصلحة، وأستاذاً للاهوت في كل من زيوريخ وبرنستون وطوكيو. واشترك اشتراكاً فعلياً في المؤتمر الكنسي العالمي الذي عُقد في مدينة أكسفورد عام ١٩٣٧.

بوضع الأيادي. بمعنى أننا اقتربنا من تعليم كبريانوس القائل: من له الوظيفة يُعطَى الروح للقيام بها... وهكذا صرنا نتحكم في الروح القدس، سهواً أو قصداً، لأننا نجهِّز الذي نوظفه بالروح القدس بواسطة الرسامة.

وقال الأسقف ديباليوس[٢]: «إن السبيل للتخلّص من الموظفين الكنسيين غير النافعين، الذين هم ليسوا إلا لعنة لا بركة للرعية، هو التدقيق في اختيارهم منذ البداية... وليس المهم أن نزيد عدد الرعاة، بل أن يكون لنا رعاة صالحون. لذلك من الضروري أن نمتحن الراغبين في دراسة اللاهوت، ونتأكد إذا كانوا مستحقين بحسب الكتاب المقدس. وإلا فيكون قد فات الأوان لتصحيح الخطأ».

وبناءً عليه، لا يرسل الرب عاملاً إلى كرْمه دون أن يجهّزه بالمؤهلات الكاملة للخدمة. وكيف يتم ذلك؟ للإجابة على هذا السؤال يجب علينا أن نرجع إلى إعداد المسيح للخدمة، بواسطة مسحه بالروح القدس. في نهاية عظة المسيح على الجبل، نقرأ في (مت ٧:٢٨) «فبُهت الجموع من تعليمه،

---

(٢) وُلد سنة ١٨٨٠ وعُيِّن سنة ١٩٢٥ رئيساً للكنائس في برلين. وفي سنة ١٩٣٣ أبعده هتلر عن الأراضي الألمانية. وفي سنة ١٩٤٥ انتخب أسقفاً لبرلين. وفي سنة ١٩٤٩ أصبح رئيساً لمجلس الكنائس الانجيلية في ألمانيا وأحد أقطاب المؤتمر المسكوني في إفنستون.

لأنه كان يعلِّمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة». **لقد أعطى الله الآب ابنه يسوع الناصري سلطاناً للقيام بخدمة مسيح الرب، ليحل الذين قيَّدهم الشيطان نفساً وجسداً من لعنة السقوط. إذ أنه كان يتكلم ويعمل باسم الذي جاء من لدنه.** وبالإجمال كان له سلطان على الأرض أن يغفر كل خطية ويشفي كل مرض (مت ٩:٢). ونفس السلطان هذا قد دفعه الرب إلى تلاميذه (قابل يو ٢٠:١٢ــ٣٢ ومت ١:١٠) فأصبحوا غير معتمدين على قوتهم الخاصة، بل صاروا يتكلمون ويعملون بقوة ربهم وبمسحة روحه القدوس، وهذا يعني بسلطان المحبة الإلهية (قابل ١كو ٢:٤، ٢كو ٣:٥، ٤:٧، ٤:١٠، في ٤:١٣).

وعلى هذا السلطان يتوقف نجاح الخدمة أو فشلها. وبالإجمال نقول: **أن أساس خدمة التلاميذ، هو دعوة الله لهم وإعطاؤهم السلطان الإلهي.**

قال شنيوند: «يكمِّل تلاميذ المسيح عمل سيدهم». فإن ما يُقال في الكتاب المقدس عن واجبات الرسل، هو نفس ما يُقال تقريباً عن أعمال يسوع في الشفاء (مت ١:١٠، ٩:٣٥،٣٦) أي أن لهم نفس السلطان الذي كان للمسيح حيث أننا نجد كلمة «السلطان» مستخدمة للمسيح ولتلاميذه أيضاً.

ثانياً: مؤهّلات خدمتهم

(١) إن سفراء الله قد دفنوا أنانيتهم مع المسيح فلا يطلبون ما هو لأنفسهم:

لقد تأكدوا بواسطة روح الحق من فساد كيانهم كله، فانساقوا إلى انكسار أنانيتهم. حتى أنهم لم يعودوا يحبون أنفسهم، بل أصبحوا يبغضونها حقاً (رؤ ١٢:١١، لو ١٤:٢٦). فبينما يرعى كثيرون من الرعاة أنفسهم، ويشتغلون في الواقع لمنفعتهم الشخصية (حز ٣٤:٢، في ٢:٢١) يوجد من يصفهم الرب أنهم رعاة حسب قلبه (إر ٣:١٥) لأنهم تحرروا من أنانيتهم تحرراً جعلهم في أداء خدمتهم يفتكرون قبل كل شيء في المعلّم وإخوته الأصاغر (في ٢:٤، ١كو ١٠:٢٤،٣٣). وهذا أصبح ممكناً لأنهم سلّموا أنانيتهم للموت بكل عزم وإصرار. وهكذا استطاعوا أن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله (رو ٦:٤ــ٦، ١٢:١) وأن يضعوا حياتهم على المذبح ذبيحة تامة للرب (لو ٩:٤٢، ١٤:٣٣).

وهم يمارسون هذا التسليم كل يوم، لذلك فإنهم لا

يخشون أن يُظهِروا كل خطية معروفة لديهم بصراحة تامة. ولأجل ذلك، ولنجاح الخدمة أيضاً، فإنهم يطلبون الشركة الأخوية لبُنيان نفوسهم ويشتركون مع إخوتهم في الصلاة. فلا يستطيع أحد أن يبني الآخرين روحياً إلا الذي حصل على البنيان الروحي لنفسه شخصياً، والذي التهب قلبه روحياً على المذبح بنار الله (رؤ ١٢: ١١).

قال الأستاذ هنس أسموسن[١]: «لو توصلنا إلى فهم الاشتراك في الصلاة وممارسته كجزء من واجباتنا في الخدمة، لكنا قد طعنّا أنانيتنا اللعينة في الصميم، تلك الأنانية التي تجسّمت فينا نحن الرعاة، أكثر مما في العوام. نعم هذا هو العمل المبارك! ولست أرى سبيلاً آخر يؤدي إلى تحقيق أخوية الرعاة، التي نحن في أمسّ الحاجة إليها والتي طالما تمنيناها».

وقال مارتن لوثر[٢]: «لا أريد أن يمنعني أحد من الاعتراف بخطاياي، ولا أقبل أن أستبدل هذا الاعتراف بكل غنى العالم، لأني أعرف مقدار التعزية والقوة التي أنالها منه. ولا أحد يعلم مدى قدرة الاعتراف إلا الذي كافح ضد الشيطان مرات كثيرة. فلو لم يحفظني الاعتراف، لكان الشيطان قد قضى عليَّ منذ أمد بعيد».

وقال أيضاً ديترخ بونهوفر[٣] وهو أحد الذين استشهدوا في زمن حكم هتلر: «وحتى لا يقع خادم الرب الذي يستمع للاعتراف في

الخطر الخيف الكامن في الاعتراف، فعليه أن يحذر من الإصغاء إلى اعتراف الآخرين إن لم يعترف هو بخطاياه، لأن المنكسر القلب فقط يقدر أن يصغي إلى المعترف دون أن يجلب ضرراً لنفسه».

تعريف بشخصيات هؤلاء الشراح الثلاثة:

(١) الأستاذ هنس أسموسن:

وُلد سنة ١٨٩٩ وكان من اللاهوتيين المرموقين ومن قادة الكنيسة الذين قاوموا مبادىء هتلر النازية. وقد شغل منصب رئيس مكتب الكنيسة الانجيلية في ألمانيا حتى سنة ١٩٥٥.

(٢) مارتن لوثر:

عاش من ١٤٨٣ــ١٥٤٦. وهو مصلح الكنيسة الغربية. تعلم الحقوق وأصبح فيما بعد راهباً ليُرضي الله بسبب خوفه منه ومن دينونته. وقد درس الكتاب المقدس ونال سنة ١٥١٢ لقب دكتور في اللاهوت. وفي بحثه في الكتاب المقدس ثبت له أن النعمة هي قوة الله، التي تهبنا بره في المسيح المصلوب. وقد نادى بالتوبة والإيمان، وعلَّق في سنة ١٥١٧ على باب كنيسة وتنبرج وثيقة تحوي ٩٥ بنداً، يدحض فيها تعاليم التوبة المزيفة التي كانت تمارسها الكنيسة الكاثوليكية. وفي سنة ١٥٢١، دُعِي للمثول أمام مجلس الأمة في مدينة ورمس. ولما تعرَّض لخطر الموت، هرب واختفى في قلعة ڤارتبورج حيث ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية. وبعدها ألَّف كتباً عديدة، ونشر نشرات كثيرة ونظَّم ترانيم كنسية. وقد أسَّس كنيسة لا تقوم على التقاليد

الدينية، بل على كلمة الله وحدها كما في انجيل يسوع المسيح.

(٣) ديترخ بونهوفر:

عاش من عام ١٩٠٦ــ١٩٤٥. وكان في سنة ١٩٣٥ مديراً لكلية لاهوتية في ألمانيا، يدرِّب قسوساً أبوا أن يخضعوا للحكم النازي. وقد قاوم هتلر وطغيانه وأعلن كلمة الله بكل صراحة. وأخيراً استشهد في المعتقل على أيدي المعذبين النازيين.

(٢) روح الله يدفع المدعوّين الحقيقيين إلى إتمام الخدمة:

ما أكثر الرعاة الذين يخدمون الرعيَّة بطريقة آليَّة وبدون فرح! فهؤلاء يعتبرون وظائفهم عبئاً ثقيلاً، ولا يقومون بعملهم إلا بدافع المسئولية المفروضة عليهم ولقَبْض الراتب فقط. ولهذا فإنهم يعيشون تحت ضغط خارجي. ولكن ما أعظم الفرق بينهم وبين الذين يتَّخذون شعارهم قول الرسل: «لأننا لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا» (أع ٤: ٢٠). فإن هؤلاء لهم دافع قلبي، ويشعرون بسعادة في حياتهم عندما يحملون بشارة فاديهم يسوع المسيح العجيبة من مكان إلى آخر، لأن هذا هو واجبهم المقدس الذي اختاروه. وهكذا يكتب بولس عن نفسه «إن كنت أبشِّر فليس لي فخر، إذ الضرورة موضوعة عليَّ فويل لي إن كنت لا أبشر»

(١كو ٩: ١٦) ورغم ذلك فإن خدمته ليست اضطرارية وليست ثقيلة عليه، بل هي فرح ورضى في أعماق قلبه (رؤ ١٠: ١٠). ونقرأ عنه في نهاية سفر أعمال الرسل أنه كان كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح، بكل مجاهرة بلا مانع.

قال الأسقف نيملر[1]: «قد اتخذت طريقي إلى المنبر بدافع داخلي اضطراري، لا بدافع تقليدي ولا بدافع الشعور أنني أستطيع أن أقدم شيئاً من اختباراتي، ولكني فعلت هذا لتأكدي من أننا جميعاً لانقدر أن نعيش أو نموت بدون كلمة الله».

وقال القس شنبيل: «إن سر المسيح هو أنه كملك يهب لخدامه فرحاً داخلياً عظيماً دون أن يطلبوه».

---

(١) وُلد سنة ١٨٩٢، واشترك في الحرب العالمية الأولى وكان فيها قائد غواصة ألمانية. وفي سنة ١٩٣١ أصبح قسيساً في مدينة برلين. وفي سنة ١٩٣٧ أمر هتلر بإلقاء القبض عليه وزجّه في المعتقل. وبقي هناك حتى نهاية الحرب في سنة ١٩٤٥. وبعد الحرب أصبح رئيساً لكنيسة مقاطعة «هسن ــ نسو» ومدير الشئون الخارجية لكنائس ألمانيا الانجيلية. وقد اشترك في المجامع الكنسية المسكونية سنة ١٩٤٨ في أمستردام وسنة ١٩٥٤ في إفنستون. وفي سنة ١٩٦١ انتخب ليكون أحد الستة البارزين من رؤساء مجمع نيودلهي.

(٣) المدعوّون متحرّرون من خدمة الوجوه:

إنهم يعرفون أن الرب نفسه يحملهم في خدمتهم لذلك هم ليسوا في حاجة إلى مدح الناس وإطرائهم، ولا إلى تخفيف حدة الغضب والعثرات التي لابد منها عند رافضي الخلاص (١كو ١:٢٣). وهم يفعلون ذلك ليس في خدمتهم فحسب بل في سيرتهم أيضاً كسفراء المسيح، مظهرين بذلك انفصالهم التام عن آراء هذا العالم (غل ٦:١٤، رؤ ٢:١٢، ايو ٢:١٥—١٧) إذ يذيعون بشارتهم في وقت مناسب وغير مناسب (٢تي ٤:٢) غير مهتمين، سواء قوبلت البشارة بالرضى أم بالرفض.

وهم لا يبالون أيضاً بما قد يقابلهم من إساءة، بل يظلوا في كل حين غير خائفين وغير متزعزعين كجنود شجعان لملكهم يسوع المسيح (٢تي ٢:٣). وإنه لمن دواعي القلق أن ينساق الجمهور إلى المبالغة في مدح أي واعظ كان. لأن الرب قال «ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً، لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة» (لو ٦:٢٦). وقال بولس في (غل ١:١٠) «لو كنت بعد أُرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح».

(٤) إنهم متعلّقون في خدمتهم بالرب وروحه فقط:

هؤلاء لا يسمحون لأنفسهم أن ينقادوا بأفكارهم الخاصة ولا بالآراء البشرية بل بالروح القدس مباشرة (أع ١٦: ٦،٨) كما هو مكتوب «كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤). وهكذا فإنهم يحرصون على الطاعة الدائمة المُسِرَّة لله، وهم لا يبتغون عند تقديم كلمة الله أن يُظهِروا ما يختص بهم، أو أن يتباهوا بمعلوماتهم السامية، بل يسعون إلى مايقوله الروح القدس في حينه (مت ١٠: ٢٠، يو ١٤: ٢٦، ١٦: ١٣). وبينما يحاول الآخرون أن يعوِّضوا ما ينقصهم من القوى الروحية بإظهار حكمتهم الخاصة واستخدام وسائل البلاغة والألفاظ الجذابة، فإننا نجد سفراء الله المدعوين، غير محتاجين إلى الاعتماد على مواهب خاصة، عقلية كانت أم خطابية. وعندما يخصهم الرب بموهبة ما، فإنهم يستخدمونها لمجده تعالى فقط. ولكن يجب علينا أن ننتبه دائماً إلى خطورة تسرُّع السامعين الحماسي واندفاعهم النفساني بجنون وراء شخصية جذابة تسحر الألباب ببلاغة التعبير. وما أجمل قول بولس بهذا الخصوص في (١كو ٢) «ولما أتيت إليكم أيها الإخوة، أتيت

ليس بسموّ الكلام أو الحكمة، منادياً لكم بشهادة الله ... وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة، لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله». فمن يكرز بحكمة الكلمات الرنانة، يسلب صليب المسيح قوته (١كو ١:١٧). ولذلك فإن شهود يسوع يصممون بعزم أن يبقوا في الخفاء لكي يستطيع ربهم ومعلمهم أن يتجلى في أبصار سامعيهم. فالعمل يجب أن يكون عمله هو، طبقاً لقول الرسول «إنني لا أجسر أن أتكلم عن شيء بما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم» (رو ١٥:١٨).

(٥) إنهم على يقين بأنهم في حاجة إلى التكميل بواسطة الجماعة الممتلئة بالروح القدس:

يتبين لنا جلياً في (١كو ١٢)، كيف يترتب على جميع أعضاء جسد المسيح أن يخدموا ويكمّلوا بعضهم بعضاً، كل واحد بالموهبة التي ينالها من الروح القدس (أفسس ٤:٧،١٦). «لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لي إليك، أو الرأس أيضاً للرجلين لا حاجة لي إليكما» (١كو ١٢:٢١). ويصف بولس الرسول اجتماعات الكنيسة العادية

بما يلي «فما هو إذاً أيها الإخوة متى اجتمعتم، فكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة، فليكن كل شيء للبنيان» (١كو ١٤: ٢٦).

يقول الأستاذ برنر: «هنالك أمر ضروري، يجب أن لا نتغافل عنه، وهو أن يكون الجميع خداماً عاملين. لذلك فليس هناك فصل ولا حتى تمييز بين خادمين وغير خادمين، بين عاملين ومهملين، بين معطين وآخذين. ففي الكنيسة الحقة نجد واجبات وحقوق ورغبات عامة للخدمة، وفي نفس الوقت نجد تعدداً في أنواع الخدمات. وهذا يشير إلى أن الجميع كانوا مشتركين في العمل طوعاً، وكان كل واحد يقدِّم قسطه في الاجتماعات الدينية. لذلك لم يسمح لأحد بأن يحتكر الخدمات. وهذه الاجتماعات لم تعرف التمييز بين كاهن وعامي، بل اعتبرت كل واحد كاهناً في هيئة الكهنوت المقدس» (قابل أيضاً ١بط ٢: ٥، ٩).

ويقول الأستاذ شمتس: «ما أبعد الكنيسة الأُصلية عن التفنن في تنظيم مسائل قيادة الجماعة، وليس هنالك أي أثر لترتيب طقس الاجتماعات الدينية وتعيين فصول القراءات».

ولما نقابل طرق عبادتنا الحاضرة بما ذُكر أعلاه، يظهر النقص المؤلم الموجود في اجتماعاتنا، لأن جميع الأعضاء يفتقرون إلى المعمودية بالروح القدس، ولأنه لا توجد غالباً

المواهب اللازمة لنمو الجماعة وبنيانها وتكميلها، حسب تعاليم العهد الجديد (رو ١٢: ٦-٩، ١كو ١٢: ٤-١١، ٢٨). وأهم ما ينقصنا من المواهب، هي موهبة النبوة. فلأصحاب هذه الموهبة بصيرة خاصة، ينالونها بواسطة إنارة الروح القدس، وهي ليست موجودة في الآخرين. ولا يلزم أن تتعلق هذه البصيرة بالمستقبل، بل تتجه غالباً إلى الوقت الحاضر. وقد أُعطيت موهبة النبوة في الرؤيا وفي البشارة، أو بطريقة أخرى لكي تُظهر مقاصد الله فينا في الوقت الحاضر، أو تكشف أسرار قلب الإنسان.

فمن لا يعترض على الموضوع المشار إليه في العهد الجديد يتأكد من حجم الأهمية التي وضعها الرسول على موهبة النعمة هذه المعطاة لحياة الجماعة والكنيسة عموماً. فلنتأمل فقط في ما هو مكتوب في (١كو ١٤: ٢٤) «إن كان الجميع يتنبأون، فدخل أحد غير مؤمن أو عامي فإنه يُوبَّخ من الجميع، يُحكم عليه من الجميع. وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة، وهكذا يخرّ على وجهه ويسجد لله منادياً أن الله بالحقيقة فيكم».

قال الأستاذ كولمان: «لقد فسدت اجتماعاتنا الدينية وضعُفت، حتى لم تعد تخيف الخطاة، ويحضرها الناس بأفكارهم الدنيوية، ويخرجون منها بدون أي تبكيت».

فمن يفتح قلبه لقراءة هذا الشاهد وغيره من الشواهد العديدة ويطلب من الرب بإخلاص أن يكلمه بواسطة كلمته الحية، ويعلن له مشيئته في هذه الأمور، فهذا لن يفهم فقط معنى هذه الموهبة النبوية العظيمة وأهميتها لخدمة التبشير الفعالة، وامتحان دعوة الخدام وصحة تعيينهم من الروح القدس للوظائف المختلفة (أع ١٣: ١، ١تي ١: ١٨، ٤: ١٤)، بل سيضطر أيضاً أن يتواضع أمام الله، ويعترف بعظم خطية الكنيسة التي حرمها الله من المواهب الموعودة بها، بسبب عدم أمانتها طيلة قرون عديدة. ومع ذلك لا تريد الكنيسة أن تقتنع وتسلّم بحقيقة خسارتها المريعة، بل هي تتمادى في الغرور ككنيسة اللاودكيين، حاسبة نفسها غنية وغير محتاجة إلى مواهب خصوصية ولا إلى موهبة النبوة. والرسول بولس، يحذرنا بشدة من هذا الاعتقاد بقوله في (١تس ٥: ٢٠) «لا تحتقروا النبوات».

فمتى تستيقظ الكنيسة من نومها، وتستعيد شوقها إلى

نيل مواهب النعمة، عوضاً عن أن تطفيء الروح خوفاً من التحمس.؟ كما قال الرسول: «اتبعوا المحبة ولكن جدّوا للمواهب الروحية وبالأولى أن تتنبأوا» (١كو ١٤ : ١).

قال الأستاذ فرّي: «إننا لم نثق بالروح القدس الذي هو روح التوبيخ بأنه يقدر أن ينظم الجماعة، لذلك منعناه من المبوب، وأمرناه أن لا يتكلم إلا بفم الراعي، وحكمنا على الجماعة بالسكوت».

وقال شمتس: «وعلى كل حال ينبغي أن يبقى مكان في كنيسة المسيح لمواهب النعمة التي يعطيها الروح القدس حسب مشيئته».

(٦) إنهم يعرفون على الدوام عدم أهليتهم وضعفهم:

إنهم لا ينسون ذنوبهم الماضية المغفورة (١تيمو ١ : ١٣، ١٥)، بل يذكرون دائماً أنهم وصلوا إلى ما هم عليه بواسطة النعمة فقط (١كو ١٥ : ١٠) ولا يعتبرون أنفسهم أفضل من الآخرين، ولا يكتفون بذواتهم (رو ١٥ : ١، ٣) بل يعلمون حق العلم أنهم لم يصلوا بعد إلى الغرض، ولم يفوزوا بالكمال (في ٣ : ١٢) بل بالحري عليهم أن يتمموا خلاصهم بخوف ورعدة (في ٢ : ١٣) لئلا يوجدوا في الآخر غير

مستحقين الاكليل مع أنهم كانوا يحرِّضون الآخرين على الجهاد (١كو ٩:٢٧).

ما أعظم الخطر الذي يهدّد الشهود المدعوين المباركين عندما يثقون في أنفسهم، ويُمسون فاترين ومهملين، ويسقطون في خطايا جديدة، أو يمارسون خدمتهم قالباً لا قلباً. فهنالك مَن فقدوا سلطتهم الأولى، لعدم أمانتهم وعدم طاعتهم. لذلك علينا أن نتذكر مكر الشيطان، ونسهر دائماً متأكدين من عدم استطاعتنا وعجزنا الكامل. وهذا ضروري جداً لئلا يتعلق الناس بالخادم ويُعجبوا به — وهو ليس إلا أداة في يد الله — عوضاً عن أن يحمدوا الآب السماوي (مت ٥:١٦). لذلك يحتاج الخدام فيما يتعلق بمؤهلاتهم الخصوصية أن يبقوا كل حياتهم ضعفاء (غل ٤:١٣، ١كو ٢:٣). ففي الضعف تظهر قوة الرب في أبهى مظاهرها «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو ١٢:٩).

وهنا يصحّ القول «لنا هذا الكنز في أوان خزفية، ليكون فضل القوة لله لا منا» (٢كو ٤:٧). وكلما فاضت بركات الرب في خدمتهم، وازدادت الأثمار ازداد تواضعهم حتى يرتموا

في التراب، معترفين بفضل نعمة ربهم التي لا يستحقونها. وكلما جرت أنهار المياه الحية من قلوبهم، كلما تأكدوا بخجل من عدم استحقاقهم وعدم أهليتهم للخدمة، حتى يضطروا إلى القول «إننا عبيد بطالون لأننا إنما عملنا ما يجب علينا» (لو ١٧ : ١٠).

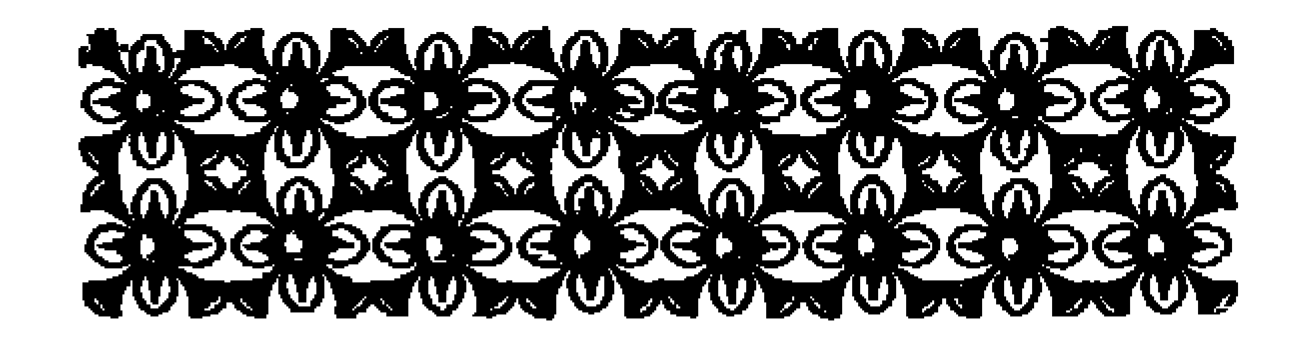
قالت إيفافون تيلي فنكار[1]: «لا ولن أريد أن أعتبر نفسي أصلح من أي إنسان آخر، لأنني لا أعلم كيف تكون حالتي لو كنت في مكانه، أو ماذا تكون حالته لو حصل هو على نعم الله وبركاته التي صارت لي».

---

(١) عاشت من عام ١٨٦٦ــ١٩٢٠. وكانت ابنة ملاّك كبير. وقد أدركت مجد يسوع بواسطة مطالعة الكتاب المقدس. استخدم يسوع حياتها ليؤسس مركزاً للكرازة يضم أكثر من ٥٠٠ أخت.

ويمكننا أن نقول أشياء كثيرة عما ينتظره الرب من خدامه، وعن حالتهم الداخلية، فعليهم مثلاً أن يبتعدوا عن المجادلات والمماحكات غير المجدية، والتلاعب بالألفاظ والأبحاث التافهة (٢تي ٢ : ١٤، ٢٣) وعليهم أيضاً أن لا يهابوا الآلام الناجمة عن شهادتهم، بل يعتبروا احتمال عار سيدهم

امتيازاً (أع ٥:١٤). وخلاصة القول هي في السؤال: **هل انسكبت محبة الله في قلوبهم أم لا؟** (رو ٥:٥) وإذا لم تكن خدمتهم ناتجة عن حلول روح الله في حياتهم، فإن كل مواعظهم البليغة وخطبهم الرنانة تصبح كنحاس يطن أن صنج يرن، ولا فائدة من كل معرفتهم اللاهوتية وكل إيمانهم وكل أعمالهم وتضحياتهم (١كو ١٣:١ــ٣).



ثالثاً: مضمون خدمتهم

(١) الخدمة في المقادس:

إن أهم شيء بالنسبة للخدام هو مصدر القوة الداخلية اللازمة للقيام بكافة أعمالهم وتأثيرهم في العالم الخارجي. وهذه هي خدمة الصلاة في الخفاء أمام وجه الرب. ففي موضوع تعيين الشمامسة نقرأ ما يلي: «انتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوءين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة، وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة» (أع ٦:٣). **ألا يلفت انتباهنا هنا أن الصلاة تُذكر أولاً، ثم خدمة الكلمة؟** إن هذا له مغزاه العميق، لأن حياة الصلاة أمام عرش النعمة ليست فرضاً علينا أن نتممه عرضياً، بل هي بداية خدمتنا ونهايتها. ولنا هنا أيضاً مثال منير في الرسول بولس: فكم تجتذبنا في رسائله ابتهالاته المستمرة ليلاً ونهاراً، وصلاته لأجل نمو جماعة الله التي كان يرعاها... وكيف يشكر الله الآب ويحمده على خلاصهم (أف ١:٣ـ٢٣، ٣:١٤، في ١:٣ـ١١، كو ١:٣).

وليس قصدنا هنا أن نتوسع في الكلام عن حياة الصلاة عند استعراض سفراء يسوع، ولكننا نلفت النظر إلى أن صلاتهم هي عمل روحي هام، له نتائج خارقة في العالم الإلهي غير المنظور. وكمفديي الرب وأبناء الله وملوك وكهنة، فإن لهم حق الدخول إلى الهيكل غير المصنوع بأياد، أي الدخول إلى الله أبي ربهم يسوع المسيح. ويعلمون أنهم مهما طلبوا من الآب باسمه، يعطيهم (يو ١٦:٢٣). وهم عندما يصلّون هكذا بالروح الحق، لا يطلبون فقط بل يصغون أيضاً إلى إرشاد الله وينتظرون إنارته. وفي صلاة كهذه يعلن الروح القدس قصده، ويمجد الآب والابن، ويتكلم ويأمر حسب الوعد (يو ١٦:١٣،١٤، أع ٣١:٢).

فإنه بدون المواظبة على الصلاة إلى الآب أفراداً وجماعات، في اسم يسوع وشركة الروح القدس، لا يكون لخدمتهم أي توجيه إلهي ولا بصيرة روحية ولا طاعة تأديبية ولا انتعاش إلهي دائم. ولا يستطيع أحد أن يفهم كلمة الكتاب إلا المصلّون المتصلون بيسوع (لوقا ٢٤:٤٥)، الحاصلون على إرشاده لبنيان النفوس. وهكذا تُعطى لهم موهبة تمييز الأرواح، ويختم الروح القدس بهائه على عملهم.

فالصلاة في نظرهم عمل مقدس ضروري لأنهم بها يخترقون بقوى دم الحمل أعماق عالم الأرواح الشريرة، وينادون بانتصار القائم من الأموات لجميع الناس في البلدان والمدن والقرى والبيوت، ويقيِّدون باسم يسوع جحافل الشيطان، ويهدمون حصونه (٢كو ١:٤، ١كو ٥:٣ــ٥، كو ٢:١، مت ١٨:١٨) ويقفون بين الله والناس، مصلين بإيمان مثل إبراهيم وموسى ودانيال وبولس وغيرهم. ولكنهم لا يقدرون أن يتمموا الخدمة بالسلطان الإلهي، إلا متى أعطوا الله باستمرار كل المجد والغنى والحكمة والكرامة مبايعين ومعظِّمين الحمل المذبوح، الذي دُفع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض (رؤ ٥:١٢).

وهذه المبايعة والعبادة في الروح، تحرِّرهم يومياً من حكمتهم الذاتية وقوتهم وكرامتهم واحترام الناس لهم، وتجعل كيانهم وحياتهم بجملتها لمجد الله لأن المجد لله وحده. لذلك لا يقدر أحد أن يكون له سلطان من الرب، بدون أن يداوم يومياً على الخدمة والشركة في المقادس في حضرة رئيس الكهنة العظيم وذبـ ـته الأبدية الكاملة، التي قدمها مرة واحدة عن العالم. فمن لا يدخل أولاً إلى المقادس ويصلي إلى

الله، لا يستطيع أن يخرج منه حاملاً السلطان لخدمة الناس.

قال الأسقف غنتر يعقوب: «إن الأسباب الجوهرية للفشل الذريع الذي أصاب مواعظنا هي: الافتقار إلى التأمل الروحي، وعدم إصغاء الضمير إلى صوت الله، وعدم التزام الصمت في حضرة الله، وقلة الصلاة. فكثيراً ما لا تنشأ مواعظنا في جو الهدوء الروحي الشامل، كما نجد في صلاة التأملات التي كان مارتن لوثر رغم شدة انشغاله يمارسها عدة ساعات يومياً، وذلك حين كان ينقطع عن كافة أعمال الساعة الملحة والمطاليب الضرورية، ويدخل في جو الصلاة والتأمل في كلمة الله».

(٢) الخدمة بين الناس:

وهي تتألف من الشهادة بالكلمة والسلوك والعجائب:

(أ) الشهادة بالكلمة:

نحن نؤدي الشهادة بالكلمة في الوعظ والتعليم والاعتناء بالنفوس بوضوح وجلاء بقدر الإمكان «فإنه إن أعطى البوق أيضاً صوتاً غير واضح، فمن يتهيأ للقتال» (١كو ١٤: ٨).

وكم نرى في بولس تمسكه بالمهم وامتناعه عن الأقل أهمية، وهو يكتب: «إنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع

المسيح وإياه مصلوباً» (١كو ٢:٤). وهكذا يكون مضمون رسالتهم محبة الله المتجسدة في المصلوب وخلاصه الكامل المعروض الآن، حسب قول بولس: «إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة. إذاً نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله» (٢كو ٥:١٠—٢١).

ورسالة الانجيل الفريدة هذه قد تمت بمصالحة الله والناس على الصليب مرة واحدة. وقد انمحى ذنب البشر بدم الحمل، وكل من يطلب الشركة مع الله لا يحتاج أن ينجز عملاً ما ولا أن يصلح ذاته ولا أن يبرز مؤهلاته، بل يحق له أن يأتي كما هو، ويجوز له أن يجرؤ على الإقبال إلى الله بماضيه الحافل بالذنوب، فهو إن فعل لن يُطرَد خارجاً (يو ٦:٣٧) لأن دم يسوع المسيح ابن الله يطهره من كل خطيئة (١يو ٧:٢). ويحدُث باسمه ومن أجل ذبيحته، معلناً الأمر العجيب، وهو أن الله القدوس يبرر الكافر الشرير.

يقول سايتس: «إن العالم الأحمق قد خلص، ولكنه لا يؤمن بهذا».

وهذه هي نعمة الله المجانية الظاهرة في يسوع، إنه يرحب بكل الأبناء الضالين حينما يرجعون إليه، ويقبلهم دون أن يسألهم عن أية مؤهلات شخصية (لو ١٥: ٢٠). وأن رحمة الله هذه غير المحدودة المقدَّمة للخطاة، لا يدركها الأبرار المتكبرون المتكلون على برهم الذاتي، بل يعتبرونها عثرة لهم (لو ١٥: ٢). أما في نظر المساكين الذين تبكتهم ضمائرهم، فهي بشرى التحرر (متى ١١: ٥، لو ٤: ١٨). فطوبى لمن قبل هذه التعزية المخلصة القائلة: «مغفورة لك خطاياك!» أي أن الله لا يغفر للمذنب ذنبه فقط، بل يستولي في الحال على حياته بواسطة الروح القدس، ويخلق فيه إرادة جديدة، ويهبه القوة للطاعة ويثبته في كل عمل صالح، ليصنع مشيئته، ويخلق فيه مرضاته بيسوع المسيح (عب ١٣: ٢١). وهكذا فإن المخلص القائم من بين الأموات، مستعد ليس فقط أن يرتب ماضي الخاطيء، بل أن يبني حاضره ويستلم مستقبله. فالرب لا يمنحه فقط غفران الذنوب، بل أيضاً التحرر من سلطة الخطية.

○ يقول لوثر: «الإيمان بالمسيح يغفر الخطية، ويتغلب عليها أيضاً في الوقت نفسه».

○ ويقول جوديت: «التبرير ليس الخلاص كله، بل إنه المدخل إليه»

○ ويقول تورن أيسن: «لقد غاب عن بال الكنيسة، أن التبرير بدون التقديس ليس شيئاً. ولذلك كثر الوعظ عن الغفران، بدون اتخاذ الأمر جدياً».

ولكن حياة الإنسان لا تخلو بهذا من الخطية. ويختبر المؤمن أن التهاون قد يلطخ حياته من جديد ويعثرها. ورغماً عن ذلك نشأت حالة جديدة تختلف عن الحالة السابقة وهي أن السقوط الاضطراري في الخطية يزول، منذ أن يتسلم المسيح قيادة الحياة، لأن العبودية تنتهي (يو ٨: ٣٤،٣٦) ولا تقدر الخطية أن تسود فيما بعد (رومية ٦: ١٤). فوصية المسيح الجديدة ليست تجديداً لناموس العهد القديم، الذي نفشل في إتمامه، لأن نير المسيح هيِّن وحمله خفيف.

ويقول المسيح في وصيته لتلاميذه: «أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا» (يو ١٣: ٣٤،٣٥). وهذه الوصية يمكن حفظها لأنها لا تُفرَض على الناس فرضاً، بل توصيهم بأن يحبوا بمحبته أي محبة الله التي انسكبت في قلوبهم بالروح القدس المعطى لهم (رو٥: ٥). ويجب عليهم أن

يوصلوا المحبة التي يعيشون منها إلى الآخرين ويبادلوهم الحب. وهكذا تنال هذه الوصية امتيازاً عجيباً وبركة لا مثيل لها. وهذا عكس ما نجده في العهد القديم. فبينما كان الناس آنذاك يفشلون غالباً تحت الناموس، رغم إرادتهم الصالحة وييأسون من وصايا الله (رو ٧:١٩)، صار بإمكاننا نحن في عهد النعمة أن نشهد مع يوحنا قائلين: «إن هذه هي محبة الله، أن نحفظ وصاياه، ووصاياه ليست ثقيلة» (١يو ٥:٣) ونقول مع بولس: «شكراً لله، الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» (١كو ١٥:٥٧) «ومحبة الله تحصرنا» (٢كو ٥:١٤). وسوف نعود إلى هذه النقطة في مناسبة أخرى.

يقول شنيوند: «لقد صارت قوات الدهر الآتي حاضرة في يسوع، فأصبح يمكن تكميل الناموس».

إن المنادين بالمسيح، يبرهنون برسالتهم أنهم شهود حقيقيون. ليس لأنهم كمحترفين يخطبون خُطَباً جافة عن موضوع لاعلاقة لهم به، بل لأنهم يشهدون بما تحققوه واختبروه بفرح. وعلى كل حال فإن فحوى رسالتهم ليس اختبارهم الخاص، بل شهادة الكتاب المقدس نفسه ــ أي البشارة بالمسيح، المعطاة لنا في العهدين القديم والجديد.

ولكن يوجد فرق أساسي بين الوعّاظ الذين يكرزون عن يسوع الناصري بمحاضرات عقائدية فقط، أو يسردون تاريخاً سمعوه من الآخرين، أو قرأوه في الكتب، دون أن يقابلوا الرب شخصياً، وبين الذين يشهدون عن سيدهم الحيّ الذي أعلن ذاته لهم فعلاً ولا يزالون يتمتعون يومياً بحضوره في حياتهم (أع ١:٨، ٤:٢٠، ٢٢:١٥).

قال الأسقف بخسل: «إن الإيمان القانوني يمكن تعلُّمه كباقي التعاليم الأخرى. أما الوعظ الحي المثمر، فلا يوجد إلا عند السالكين في تأديب الروح القدس والمختبرين قوة نعمة الله المخلِّصة في قلوبهم».

وقال الأستاذ برنر: «أسهل على الإنسان أن يؤمن بقاعدة من قواعد الإيمان أو بعقيدة ما، أو أي تعليم معيَّن، من أن يؤمن بأن الإيمان والمحبة هما أمران لا يفترقان. وكذلك أسهل علينا أن نتحاجج في مبادىء كلمة الله عقلياً ولاهوتياً، ونحلِّل عباراتها من أن نجعل الروح القدس يغيِّر جوهر كياننا. فالإيمان المستقيم موجود في الكنيسة، ولكن بدون محبة».

وهذا ينقلنا أيضاً إلى ما نود إثباته فيما يلي:

(ب) أن شهادة الكلمة لها وزنها متى كانت مصحوبة بشهادة الحياة فقط:

فالكلام يجب أن يتفق مع السلوك. عندئذ يستطيع شهود المسيح القائم من بين الأموات والعامل في حياتهم، أن يبرهنوا بقوة ربهم على صحة ما يكرزون به. فالمحبة الإلهية التي يتكلمون عنها تشتعل في قلوبهم وتظهر في أنفسهم، وهكذا تتجسَّم رسالتهم في شخصيتهم. وهذا يعني أنهم يقدِّمون بسلوكهم البرهان الحي على حقيقة كرازتهم. ولهؤلاء نجد وصفاً عجيباً في (٢كو ٨:٢٣) حيث يُدعَون «مجد المسيح»، أي أنهم أشخاص يتمجد المسيح فيهم.

فإنهم بالكلمة والسلوك، يخبرون بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط ٢:٩) وهكذا يمجِّدون ربهم في حياتهم كما حدث بالنسبة لتلاميذ الرب الأولين الذين شهد لهم قائلاً «أنا مُمجَّد فيهم» (يو ١٧:١٠، ١كو ٦:٢٠، فى ١:٢٠، ١بط ٤:١١). فهم في سلوكهم المقدس ومحبتهم المضحية مثال للجميع. لقد استطاع بولس أن يقول عن نفسه «أنتم شهود، والله كيف بطهارة وببر وبلا لوم كنا

بينكم» (١تس ٢: ١٠). وهكذا يبين سفراء المسيح بسلوكهم، أنهم أهل لواجبهم المقدس وأهل لربهم السماوي، الذي دعاهم إلى سلطانه الملوكي، ويعملون حسب المبدأ القائل: «إننا نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقاً لانجيل المسيح» (١كو ٩: ١٢).

ويختلف هؤلاء كثيراً عن أولئك المكتوب عنهم: «لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوّتها» (٢تيمو ٣: ٥) وهم «آبار بلا ماء» «ينطقون بعظائم» وهم «أنفسهم عبيد الفساد» (٢بط ٢: ١٧—١٩) ويحكمون بسلوكهم غير المقدّس على أن كرازتهم كاذبة. فإنهم يحسنون التكلم عن جميع الأمور المقدسة، ولكن السامعين يشعرون أن المحبة المقدسة التي يتكلمون عنها لم تمتلكهم بعد، لأنهم غارقون في كيان الإنسان العتيق، ومقيّدون بسلاسل أنانيتهم. وهؤلاء هم الذين يوقعون بالانجيل أعظم أذى، لأنه بواسطة التناقض الظاهر بين كرازتهم وحياتهم، تصبح رسالة الكنيسة بلا شك غير قابلة للتصديق. ولذلك يُجدَّف على اسم الله بين الأمم بسببهم (رو ٢: ٢٤، تي ٦: ٥). فنحن بسلوكنا نثبت صحة كرازتنا أو نبطلها. وقد صدقت كلمة الرب القائلة:

«من ثمارهم تعرفونهم» (مت ٧: ١٦ـــ١٨).

قال الأسقف همبرج: «إن تصرفات شهود المسيح في الكنيسة لها أهمية كبرى، فما تعمله يدوّي حتى أنه يغطي على قولك. إن مثال حياة المسيحي في الخدمة في غاية الأهمية بالنسبة للكنيسة. ونحن لا نريد أن نضع الأهمية الأولى على التعليم اللاهوتي، بل بالحري علينا أن نكون أبناء الله وأن يرتسم المسيح فينا» (غل ٤: ١٩).

وقال القس دننبوم: «نحن لا نؤثر بكرازتنا أكثر مما نؤثر بكياننا»

وقال الأسقف برون: «إن ما نهمله في نفوسنا يضر الكثيرين ممن كان ينبغي أن يحيوا بواسطتنا».

(ج) شهادة الآيات والعجائب:

إن قبلنا أو لم نقبل، لا نقدر أن نحيد عن الأمر الواقع وهو أن الرب وضع لسفرائه دستور الخدمة بقوله: «اشفوا مرضى طهّروا برصاً... أخرجوا شياطين» (مت ١٠: ٩) ولهذا التفويض علاقة بعظمة الفداء الذي أكمله لنا يسوع بموته. وهذا يشمل النفس والجسد معاً. فالمصلوب لم يحمل خطايانا على الخشبة في جسده فحسب، بل أيضاً حمل أمراضنا وأبعدها (اقرأ مت ٨: ١٦). ولا يمكن أن تكون

مشيئة الله أن يستمر العذاب في المعذّبين، ذلك العذاب الذي تحمله الابن عنا، بل إنه بالحري يشتاق أن يرى ثمرة آلامه كاملة في أجسادنا وفي نفوسنا لأن العدو لا يقيّدنا بالخطايا فقط، بل بالأمراض أيضاً. وهي بحسب قول الرب في (لو ١٣:١٦) قيود يقيدنا بها الشيطان، ويجب أن يحلّنا منها الرب يسوع.

ولهذا فإنه بصفته الأقوى، قيّد القوي ونزع سلاحه عنه. وهو الآن يُطلق الأسرى منتصراً. وهذا هو السبب الرئيسي الذي من أجله نرى دائماً في خدمة المسيح الكرازة والشفاء جنباً إلى جنب «كان يسوع يكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب» (متى ٩:٣٥)، قابل أيضاً جوابه على سؤال يوحنا المعمدان عن المسيح في (مت ١١:٥) وشواهد أخرى.

قال القس تسندل: «من المعلوم أن المسيح لم يردّ قط مريضاً على أعقابه قائلاً له أن يتحمل مرضه كأنه من مشيئة الله، بل رأى بالحري في كل مرض سلطة الشيطان التي جاء ليقمعها».

ومن حيث أن التلاميذ قد دُعوا ليتموا عمل معلمهم، صار من الضروري أن يعطيهم معلمهم الوصية المزدوجة، أن

يكرزوا بالكلمة ويقاوموا قوات الأمراض الشيطانية. ونقرأ أيضاً في (لو ٩: ٢) «أرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى» وفي (عدد ٦) «فلما خرجوا كانوا يجتازون في كل قرية يبشرون ويشفون في كل موضع».

وبالوضوح عينه ينطق يسوع بنفس التفويض المزدوج في (لو ١٠: ٩). وهذه هي العلامة المميزة لسيادة الله، التي تدك سلطان الشيطان. وهذا يعني أنه يجب على قوات الخطية والمرض وإبليس أن تتقهقر مُرغمة. ولذلك نقرأ ما يلي: «أعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة، حتى يُخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف» (مت ١٠: ١).

قال البروفسور هيم: «إن عجائب الشفاء المذكورة في الكتاب المقدّس متصلة بمصالحة الضمير مع الله. لا يقول (يع ٥: ١٤ــ١٦) فقط أن صلاة الإيمان تشفي المريض، بل يقول أيضاً «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا». فالمرض الجسدي يزول حالما يتم الشفاء الداخلي» قابل أيضاً (مت ٩: ٢ــ٧).

ليس الكلام هنا عن موهبة الشفاء الخاصة التي لبعض الأفراد (١كو ١٢: ٩، ٢٨) بل عن المسيح الذي أعطى جميع

سفرائه التفويض المزدوج، وهو أن يوصلوا الكلمة إلى الناس ويحرروهم من لعنة أمراضهم ومن الأرواح الشريرة بقدر إيمانهم. فإن وعد القائم من بين الأموات في (مرقس ١٦: ١٧) هو للعموم «وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يُخرجون الشياطين باسمي».

قال البروفسور شلنك: «لا يجوز للإنسان أن يحصر هذه الآية في الرسل والكنيسة الأولى فقط، فإن الوعد غير محدود. ولقد كان كلام يسوع موجَّهاً إلى الجميع، وليس إلى الرسل وحدهم حين قال: «من يؤمن بي فالأعمال التي أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها» (يو ١٤: ١٢).

لا يتكلم الرسول يعقوب في الأصحاح الخامس عن أصحاب المواهب، وإنما يقول بكل بساطة: «أمريض أحد بينكم فليدعُ شيوخ الكنيسة، فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه» (عدد ١٤ــ١٥).

إن قدر أحد أن يغضّ الطرف عن آيات الكتاب الواضحة هذه وأن يزيِّفها تعمُّداً أو بغير قصد ليتملَّص مما يترتب عليه من واجبات، فأنا لا أستطيع ذلك. وإن سكتُّ

عن هذه المسألة، أسأت إلى الواجب المعطى لي من الرب. ولكنني لا أقول ولا أريد أن أدَّعي بأن الذين لا يظهر في خدمتهم انتصار المسيح على الأمراض وعلى الشياطين هم ليسوع خداماً حقيقيين للكلمة. فإنه من الضلال والظلم أن نتهم المريض بعدم الإيمان إن لم يتم فيه الشفاء المطلوب. فالرب لا يشفي دائماً بحسب رغبتنا، بل يحتفظ بالسلطان المقدس المطلق، ويصنع مع كل واحد بحسب حكمته الفائقة الإدراك. وهكذا اضطر بولس أن يترك تروفيمس مريضاً في ميليتس (٢تيمو ٤: ٢٠) وهو نفسه أيضاً لم تُرفع عنه الضيقة التي تكلم عنها في (٢كو ١٢: ٧). وإننا لا نستطيع أن نفهم إجراءات الرب الملوكية المطلقة، ونقيسها بمقاييسنا، ونجعلها تطابق عقليتنا. وهنا على الأخص، يجب أن يكون سفراء الرب دائماً متواضعين وخاضعين لمشيئة الله المقدسة. فالإيمان الكامل والتسليم التام لمشيئة الآب، لا ينفصلان بعضهما عن بعض، بل يرتبط أحدهما بالآخر.

وما أجمل المثال الذي تركه لنا يسوع نفسه بهذا الصدد (يو ٤: ٣٤، ٥: ١٩ــ٢١ وغيره). فالمسألة لا تتوقف علينا فيما نريده أو نعمله، أو نقدر عليه أو نغتصبه، بل علينا أن

أكثر، وننظر إلى المواعيد المعطاة لنا بعين الاهتمام والجد، لكي يتسنَّى لنا أن نعتمد بفرح على ذراعه الممدودة، ونتجاسر أن نصلي مع البيعة الأولى قائلين «الآن يارب... امنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة بمدّ يدك للشفاء، ولتُجْرَ آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع» (أع ٤: ٢٩). فقد طال بنا الوقوف في طريق الرب بعنادنا واكتفائنا الباطل، فحدَّدنا عمل فدائه بسبب عصياننا وقلة إيماننا. أليست ذراع الرب اليوم مُعطَّلة بسببنا، كما عطَّلها أهل الناصرة؟ (مر ٦: ٥).

قال الأستاذ أسموسين: «ليهبنا الله صراحة بريئة تجاه ما يشاء الروح أن يعمله في المرضى، لئلا يمتنع عن ذلك بسببنا. فإن قلة الصراحة تعطل الروح وتطفئه».

رابعاً: غاية خدمتهم

ليست غاية أصحاب التفويض الإلهي هو أن يشعر سامعوهم بالتحذير أو البنيان أو التعزية، ولا أن يخرج الحاضرون من الكنيسة مسرورين بتأثير «العظة الجميلة» التي سمعوها. فإن سفراء الرب لا يغترّون بكثرة عدد الحضور إلى الاجتماعات العامة أو خدمة العشاء الرباني، ولا يعتبرون ذلك مقياساً لنجاح خدمتهم، بل بالحري يرون أن أهداف خدمتهم التي حدَّدها العهد الجديد هي في ما يلي:

(١) إنهاض الخطاة النائمين من نومهم وإخراجهم من الموت إلى الحياة:

إن الشرط الأول لهذا النجاح في العمل المثمر، هو الوعي التام والبصيرة المميزة لحالة السامعين، حتى الأمناء منهم الذين رغم مظاهر الصلاح الخارجي لا يزالون في نظر الله — وافقنا أو لم نوافق — «موتى في الخطايا والذنوب وأبناء المعصية وتحت غضب الله» (أف ٢:١—٢). وبما أن الناس عامة والذين يدعون بالمسيحية خاصة، لا يعرفون حالتهم الضالة

بل يغفلون عنها، ولا يشعرون بجهلهم هذا، فقد صار من الضروري أولاً أن نوقظ النائمين بأن نناديهم قائلين: «اخلصوا من هذا الجيل الملتوي» (أع ٢: ٤٠). لعل الهدف الأول من الكرازة بالانجيل في عهد الإصلاح، كان تعزية الضمائر التي ضايقتها وعذّبتها أحكام التوبة في القرون الوسطى. أما الآن فإن ظننا أنه يجب علينا أولاً أن نعزي الضمائر المتعبة كما كان الأمر قبل أربع مئة سنة، فنحن نسيء الحكم على حالتنا الحاضرة ونبتعد عن هدف بشارتنا.

إن جماهير المسيحيين بكل أسف ليسوا مضطربين على خطاياهم وهلاكهم، بل بالعكس هم مطمئنون ومكتفون ببرهم الذاتي وطيشهم. لذلك أُصيب بعضهم بغلاظة القلب. فمثل هؤلاء لا يحتاجون إلى التعزية، بل إلى الإيقاظ لكي يقبلوا الخلاص.

قال الأستاذ شلتر: «قبل أن نسلك كمسيحيين، علينا أن نكون أولاً مسيحيين».

وقال المطران دي بور: «ماذا يعني لوثر باجتماعات خدمة الله العمومية يوم الأحد؟ إنها مناداة علنية للحثّ على الإيمان. فغاية خدمة الكنيسة الأولى ليست العناية بالإيمان الموجود وتقويته وتثبيته

بقدر ما هي مساعدة السامعين وتشجيعهم على قبول الإيمان. فواجب الكنيسة هو تبشير الشعب، وتبشيره يتم عن طريق خدمتها العملية. وهذا يعني قبل كل شيء أن نتخلّص من تصوّرنا الماضي، وهو أن التبشير يتم فقط في إقامة الاجتماعات الانتعاشية والمحاضرات الدينية. كلا بل التبشير المطلوب من الكنيسة، منوط بالرعاة أنفسهم. فلا نظن أن شعب الكنيسة يتألف في الدرجة الأولى من جماعة القديسين ومن بعض المرائين والأشرار. كلا، فالقديسون في شعب الكنيسة هم دائماً قليلون».

أما الآن فقد وصلنا إلى السؤال النهائي وهو: كيف يخلص الإنسان؟ الخلاص في أي حال ليس مجرد الاعتراف العقلي بقانون الإيمان الرسولي، الذي بُني عليه الإيمان التقليدي في كنائسنا، وليس هو التوبة المتّبعة في الاعتراف العام وسرعة الموافقة على أننا جميعنا خطاة. فهذا وحده لا يكفي أبداً. فليس هناك أحد يحصل فعلاً على غفران خطاياه بمجرد الإيمان المزعوم، ولا بالتوبة الموهومة، ولا بكلمة «نعم» التي يقولها الجمهور بالإجماع عند سماعهم الدعوة إلى التوبة، كما جرت العادة في الكنيسة، ولا بقبول الغفران العام الموجّه إلى الشعب، ولا بمداومة الحضور بإخلاص إلى الكنيسة، ولا بالاشتراك في العشاء الرباني، ولا بمعمودية الماء،

رلا بمجرد التثبيت نفسه، لأن مثل هذا الغفران يذهب أدراج الرياح.

لقد أصيبت كنيستنا بجملتها بمصاب أليم، لأنها كانت على مدى الأجيال تكرز بهذه النعمة الرخيصة، واكتفت بمظاهر التقوى التقليدية، واعتبرت واجبها كله في رعاية المؤمنين المزعومين. وكان قصدها أن تسهِّل للناس الدخول إلى ملكوت الله، ولكنها في الحقيقة أقفلت الباب في وجوههم (مت ٢٣:١٣) وحوَّلت الباب الضيِّق الذي يدخل منه القليلون إلى باب واسع ليتسنى لشعب الكنيسة أي المعتمدين الدخول إليه بسهولة (مت ٧:١٤).

فكانت النتيجة أن هذا الباب المصنوع، لم يعد يوصل الناس إلى الحياة الأبدية، بل إلى الموت الروحي. وهكذا انقصف رأس سيف الروح، وضاعت قوة الكرازة الفعالة. وبسبب تجريد كلمة الله من فحواها الأصلي وإزالة قوتها الفعَّالة، بسبب هذه الخيانة الشنيعة، يجب أن ننبِّر بشدة على أن الرب الإله قد عيَّن ووضع شرطاً واحداً، لا يمكن للتبرير أن يتم بدون إتمامه لا في الحياة الحاضرة أو المستقبلة. وفحوى هذا الشرط هو في كلمة «ارجعوا» (مت ٣:٢،

١٧:٤، ٣:١٨، أع ٣:٣٨).

قال الأستاذ شنيوند: «لا نستطيع أن ننكر أن وعظ يسوع كان كله نداء للرجوع».

قال رالف لتر: «لم يكن الرسل يهتمون بأن يتمسك سامعوهم بأي تعليم، بل بأن يتحدوا بشخص معيّن. فالمطلوب ليس الإيمان بالصليب أو القيامة، بل بالمسيح المصلوب والقائم من بين الأموات».

وقال همبرج رئيس الكنائس الانجيلية: «على كل إنسان أن يقرر تسليم نفسه ليسوع تسليماً تاماً قبل كل شيء، لأن التسليم الجزئي لا يجدي نفعاً. والله يمنع سلامه عن الإنسان الذي لم يسلم نفسه كلياً. فلا يمكن أن يمر من الباب الضيق، إلا من نبذ وترك كل ما يغيظ الله. فالله لا يكلل قلباً منقسماً على ذاته... إن الرجوع الحقيقي إلى الله أمر مقدس ومهم. وهذا يتم في الانفصال الكامل عن الماضي والتسليم التام للرب. فإن الله يعطي روحه للذين يطيعونه».

قال المطران ينملر: «ونحن بالرغم من نوايانا الطيبة نقف في طريق يسوع. فإن رغبتنا الصالحة، تدعو إلى التهذيب الأخلاقي حيث يطلب المسيح الرجوع والتوبة الكاملة وتدعو إلى التقدم والتطور الحضاري بينا هو يطلب منا الولادة الثانية والتجديد، وتدعو إلى الاهتمام بالحياة الدنيا إذ في حين يدعونا المسيح إلى الموت».

لا نستطيع أن نتصور حجم النجاح الذي حققه العدو عن طريق الدور المهم الذي لعبه بإلغاء المطلب الجوهري في العهد الجديد وإبعاده عن بشارة الكنيسة. فهناك شواهد عديدة تؤكد ضرورة الرجوع لأجل الحصول على الغفران. فالرسول بطرس مثلاً يقول: «توبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم» (أع ٣:١٩). والرب القائم من بين الأموات، يؤكد بوضوح أهمية المناداة بالتوبة أثناء الكرازة باسمه (لوقا ٢٤:٤٧). فلا يجوز الادعاء بأن التبرير عند بولس، يعني «فقط الإيمان» وليس «التوبة والرجوع». وادّعاء كهذا هو تزوير لتعليم الرسول. فما نسمّيه عادةً إيماناً في الكنيسة، لم يعتبره بولس كذلك، لأنه لم يعرف إيماناً بدون الطاعة الحقيقية الناتجة عن التوبة والرجوع العملي.

لاحظ العبارة «إطاعة الإيمان» الواردة مرتين في الرسالة إلى رومية في بدايتها (١:٥) وفي نهايتها (١٦:٢٦) وشواهد أخرى مثل (رو ١٥:١٨، ٦:١٦، ١تس ١:٩، تي ١:١٦) حيث يؤنب الرسول أولئك الذين يعتمدون على إيمانهم المزعوم، بدون أن يتوبوا ويرجعوا رجوعاً حقيقياً «يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه، إذ هم رجسون غير

طائعين». ثم يبين بوضوح نفس الأمر في خطابه الوداعي الموجَّه إلى شيوخ كنيسة أفسس: «كيف لم أؤخر شيئاً من الفوائد... شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح» (أع ٢٠:٢٠) راجع أيضاً (أع ١٤:١٥، ١٥:٣، ١٧:٣٠، ٢٦:٢٠).

فلا شك في أن بولس لا يعتبر إيماناً إلا الإيمان الذي يشمل الرجوع بعزم ثابت، ويُظهر الطاعة وتجديد السلوك، وبالإجمال «الإيمان العامل بالمحبة» (غل ٥:٦). لم يستطع الرسول أن يعلِّم بخلاف ذلك، بعد أن عاين الرب الممجد وسمع منه القول: «أنا أرسلك إليهم لتفتح عيونهم، كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا» (أع ٢٦:١٧).

قال القس كاهلر: «قد يندهل بعض المسيحيين حتى وبعض اللاهوتيين، إذا عرفوا بحق ما يقوله الكتاب عن الاتباع. يكتب الرسول بولس إلى أهل كورنثوس: «كونوا متمثلين بي» (١كو ٤:١٦). ويقول أكثر من ذلك: «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو ١١:١). ويقول أيضاً ما يكاد يمسك أنفاسنا: «فكونوا متمثلين بالله كأولاد [illegible]» (أف ٥:١). وكذلك يقول

بطرس: «ترك المسيح لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته» (١بط ٢:٢١). وبناء عليه، لا يحررنا التواضع المصطنع والنعمة الرخيصة.

وتتضح لنا أفكار بولس إذا سألنا أنفسنا: «ما معنى التوبة؟» فالتوبة معناها أن نعزم عزماً ثابتاً أمام وجه الله الحي على «العيشة فيما بعد لا لأنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام» (٢كو ٥:١٥، لو ١٥:١٧ــ٢١). وهي أن نخضع خضوعاً صحيحاً وأن نندم ندامة أكيدة على ماضينا الفاسد بسبب عصياننا لله، فنرجع إلى بيت أبينا. وذلك بأن نغيّر وجْهة سر إرادتنا الأساسية، ونسلّم ذواتنا مع كل خطايانا وذنوبنا وكل كياننا ومالنا، دائماً وأبداً، إلى مخلصنا يسوع المسيح، ونتكل عليه بأمانة كاملة. وبذلك نسلم حياة الخطية القديمة إلى الموت الذي نستحقه. وهكذا نوافق على صلب أنانيتنا مع المسيح، ونخلع إنساننا القديم حاسبين أنفسنا موتى عن الخطية، ونحيا لله وحده (رو ٦:١١، غل ٦:١٩، ٥:٢٤، مت ١٦:٢٤، لو ١٤:٢٣).

إن مثل هذه التوبة التي تظهر صحتها في الاستعداد للاعتراف الفعلي، وإن أمكن أيضاً في الاصلاح العملي، يجيب عليها الله من السماء حسب وعده بغفران الخطايا

وموهبة الروح القدس (أع ٢ :٣٨، يع ٥ :١٦، مت ٣ :٦، أع ١٩ :١٨، لو ١٩ :١٨).

قال القس لوهي[1]: «ليس الاعتراف السري بالخطايا وصية إلهية، أو فرضاً تفرضه الكنيسة على الفرد، بل هو حق وامتياز خاص. ويجب أن لا يكون الاعتراف اعترافاً بحالة الخاطيء، بل بالخطايا المقترفة فعلاً. فقد يستمر الإنسان عشرات السنين في الاعتراف بحالة الخطية والنوح عليها، دون أن يتخلص منها إذا كان لا يذكر ثمار الخطية العديدة وأعمالها الشنيعة. فمن يريد أن يعترف اعترافاً سليماً، فليعترف بالخطايا المقترفة فعلاً، ويدعوها بأسمائها ويدقق في تحديدها بقدر الإمكان، وبدون إعلان أسرار الغير».

وقال بونهوفر أحد شهداء القرن العشرين: «تحب الخطية أن تبقى مجهولة، لأنها تخاف من النور، وذلك حتى تقدر أن تسمّم كيان الإنسان في الظلام... ثم أن الكبرياء هي أصل كل الخطايا، أما الاعتراف أمام الأخ فهو اتضاع يؤلم ويحقر ويكسر الكبرياء. فالوقوف أمام الأخ كخاطيء عار صعب احتماله، لكنه يميت

---

(١) عاش من سنة ١٨٠٨ــ١٨٧٢ وكان قسيساً في إحدى القرى، وكان له الفضل بأن يحول تلك الضيعة الحقيرة بواسطة الكرازة والطقوس الكنسية إلى مركز هام للتبشير الداخلي والخارجي.

الإنسان القديم موتاً شنيعاً. وحيث أن الاتضاع صعب، فإننا نظن دائماً أنه باستطاعتنا تحاشي الاعتراف أمام الأخ، وقد تُطمس عيوننا حتى لا نعود نرى وعد الاتضاع ومجده».

يبدأ المسيحي في الاعتراف بترك خطيته، فينكسر سلطانها. وبعد ذلك يتكلل جهاده بنصر تلو الآخر. ولماذا يسهل علينا الاعتراف أمام الله، أكثر من الاعتراف أمام الأخ؟ فلنتساءل إن لم نكن نخدع أنفسنا عند اعترافنا لله أي إن لم نكن بالحري قد اعترفنا بخطايانا لأنفسنا ثم غفرناها بأنفسنا. (قارن ايو ١:١٠، يع ١٦:٥، يو ٢٣:٢٠، أمثال ١٣:٢٨).

وقال جيِّر نائب الأسقف: «تنجح العناية بالنفوس أساساً حين يسلِّم الناس محور كيانهم وثقل ذنوبهم وأسرار قلوبهم إلى الله، يحصلون على التحرر الشخصي من الخطايا بواسطة الغفران الذي يُعلَن لهم وجهاً لوجه». وقال أيضاً: «يعود ضعف الكنيسة أيضاً إلى كونها تخرج علماء ووعاظاً طقسيين، ولكنها قلما تخرج معتنين بالنفوس».

وعندما يُخلص الله الخطاة، لا يخلِّصهم على أساس

عزمهم الطيب، بل على أساس رحمته فقط، ناظراً إلى ذبيحة الكفارة التي قدمها المصلوب. وهل كان بأمكاننا نحن أعداء الله سابقاً أن نرجع إليه لو لم يقدم هو لنا أولاً المصالحة في ابنه؟ (رومية ٥:٨،١٠ ٢كو ٥:١٩، يو ١٥:١٦، ايو ٤:١٩). «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم» يقول الرب (يو ١٥:١٦).

ويقول في العدد الخامس من نفس الأصحاح: «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً». فالتوبة إذاً ليست عمل الإنسان بل نعمة الله الخالصة: فإن الله هو الذي يعطي التوبة للحياة (أع ١١:١٨) فليس للإنسان إذاً أي استحقاق أو أي سبب للافتخار «من افتخر فليفتخر بالرب» (١كو ١:٣١). وبناء عليه فإن خلاص الإنسان يصبح أكثر تأكيداً لأنه لا يتوقف على أي عزم ذاتي أو أي عمل بشري، بل على تدخل الله الفعلي بنعمته فقط التي بواسطتها يصبح إنساناً جديداً (١كو ١٥:١٠). وعند قبول الروح القدس تتم الولادة من فوق، التي بدونها لا يمكن لأحد أن يرى ملكوت الله (يو ٣:٣،٥) وهذه هي الولادة الثانية والتجديد بالروح القدس (تيطس ٣:٥).

قال الأستاذ برنر: «إن ما وصل إليه تحسينه من الاعتقاد بسِحْرِ المعمودية، كان خارجاً بكل تأكيد عن نطاق فهم بولس. فالرسول لم يعنِ بذلك أن الروح القدس يُسكَب في الطفل المعمَّد بواسطة إجراء خارجي يقوم به الكاهن، ولم يعنِ كذلك أن الخطية تُغسَل في المعمودية، وأن الحياة الجديدة توهَب بدون أن يعمل الإيمان عمله».

وقال رئيس الرعاة دي بور: «إن الميلاد الثاني بحسب كتب قواعد الإيمان، هو الاهتداء الذي يحصل عند التوبة والرجوع إلى الله، كما هو مكتوب: إن الله يحوِّل بقيادة الروح القدس العصاة العنيدين إلى راغبين وقابلين قوة النعمة. وبعد هذا الاهتداء، يجب على الإرادة المتجددة أن لا تضيع الوقت في ممارسة التوبة العقيمة، وإنما يجب أن تشترك في كافة أعمال الروح القدس التي يُجريها بواسطتنا».

قال الأسقف بِنغِل: «لا تستصعب الميلاد الثاني لأن يحصل بالإيمان، ولا تستخف بالإيمان لأنه يخلق الميلاد الثاني».

فالمسيح يملأ الذي يسلِّمه قلبه قوة لم يعرفها من قبل، قوة ليست أقل من قوة قيامته (أف ١:١٩، ٢٠، ٣:١٠، فل ٣:١٠) فتحل عليه نار الله المقدسة (لو ١٢:٤٩)، عندما تنسكب في قلبه محبة الله (رو ٥:٥) التي تؤهله لحفظ

ناموس المسيح (غل ٦:٢، يو ١٣:٣٤) فتسري فيه حياة جديدة كاملة. وهذه ليست إلا حياة ربه الفريدة (كو ٢:١٢، أف ٢:٥، ٢كو ٤:١٠). فإن ابن الله نفسه، يأخذ فعلاً منزلاً في قلب تلميذه (يو ١٤:٢٣، ١٧:٢٣،٢٦، أف ٣:١٧، كو ١:٢٧، غل ٢:٢٠) ويُشركه في حياة قيامته المقدسة (رو ٦:٤). فقط مَنْ اختبر هذا في نفسه، يقدر أن يُدرك ما يعنيه بولس بقوله: «إن كان أحد في المسيح، فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضَتْ هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥:١٧).

فالإنسان يصل بذلك إلى الحياة الحقيقية (يو ٥:٢٤، ايو ٣:١٤) ولهذا ينبغي على سفراء الله أن يرشدوا الناس بواسطة خدمتهم إلى هذا الطريق، فيصبحوا سبباً لسرورهم (٢كو ١:٢٤، أع ٢:٤٦، ٨:٨،٢٩، ١٣:٥٢، ١٦:٣٤) لأن يسوع يريد الآن أن يمنح المخلّصين فرحه الخاص، الذي هو الفرح الكامل (يو ١٥:١١، ١٦:٢٤). ومن هنا فإن سفراء المسيح لهم هدف آخر:

(٢) يجب أن يثبّتوا المولودين ثانية في التقديس، ويُجهّزوهم للقيام بخدمتهم، حتى ينقادوا جميعاً إلى الاتحاد الشامل

لتكميل بنيان جسد المسيح بجملته تكميلاً تاماً في المحبة ليوم الظهور:

هذا هو الهدف الواضح الذي يسعى نحوه رأس الكنيسة مع كنيسته، والذي في سبيله عيَّن سفراءه. لذلك فإن سفراء يسوع لا يمكن أن يسمحوا لأحد بأن يضلهم بأي نظرية سطحية، كتلك التي تقول أن التبرير هو فقط عدم ذكر خطايانا وأنه لا مفر من الخطية، وأنه بناءً على ذلك يصبح تجديد الحياة الأبدية الكاملة أي التقديس الشامل غير ممكن إلا في الآخرة.

إن هذه الضلالة العقائدية التي تحاول أن توهم المؤمنين بأنهم لا يستطيعون أن يتحرروا من الخطية إلا بواسطة الموت فقط، ليس لها في الكتاب المقدس كله قولاً واحداً يثبتها، لأن ليس الموت بل دم يسوع المسيح هو الذي يطهرنا من كل خطية (ايو ١:٧). فقد ظهرت نعمة الله المخلِّصة لجميع الناس، لا ليستمروا باطمئنان حتى موتهم في اقتراف الخطية (رو ٦:١) بل لتعلِّمنا «أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر» (تي ٢:١١، في ٢:١٥) بعد أن اختارنا الله «لنكون قديسين وبلا

لوم وبسطاء قدامه في المحبة» (أف ١: ٤). ولكي نبيّن ذلك بأكثر وضوح نقول أن قداسة المسيح وبرّه، لا يُحسبان لنا في حكم الله القضائي فحسب، بل يُوهبان لنا فعلاً كما هو مكتوب «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قدّيسين في كل سيرة» (١بط ١: ١٥). أجل، قدّيسين في السيرة والسلوك! هذا كلام واضح لا يمكن أن يكون له أي معنى آخر.

قال برنر: «لا يبقى برّ المسيح مجهولاً منا، أو بعيداً عنا، أو محسوباً لنا فقط، ولكنه بالحري يتم فينا فعلاً، نحن العائشين ليس حسب الجسد بل حسب الروح (رو ٨: ٤) فالحياة الجديدة هي بر جديد». ونرى إمكانية ذلك مثلاً في سيرة بولس، الذي استطاع أن يكتب عن نفسه «فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا، أننا في بساطة وإخلاص الله، في نعمة الله تصرفنا في العالم» (٢كو ١: ١٢).

قال رنغسدرف: «إن بولس في اتصاله مع المسيح لم يعرف خطية في نفسه، مع أنه كان إنساناً تحت التجربة .. وهذا ما ينتظره أيضاً من جميع الذين يخصّون المسيح».

وقال الأستاذ ألتهوس: «وعندما يُعرّف بولس نفسه بالخاطيء، فإنه يعني بذلك ذنوبه قبل اهتدائه وليس آثامه في حياته المسيحية،

أو نجاسات قلبه في الوقت الحاضر. ففي المسيح صار الكل جديداً، حتى قلب بولس، عالماً بخطر سقوط الاكتفاء الذاتي والكبرياء الروحية، لكنه يشهد في نفس الوقت أن الله يحفظه بعنايته، ولا يمكن أن تخطر على باله أمور كهذه. ولا ذكر في رسائله حتى ولا في اعترافاته، أنه كان عليه أن يجاهد ضدها، لأنه عرف نفسه محفوظاً في قدرة محبة المسيح (٢كو ٥:١٤). وقد أخذت خدمته منه مأخذاً، ولم يكن له في نفسه أي دافع آخر. فلنحذر من الشك في هذه الحقيقة».

إن التحرر من سلطة الخطية ليس ممكناً فحسب، بل ضرورياً جداً وفقاً لشهادة الكتاب، لأنه هو هدف الخلاص «اتبعوا القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب» (عب ١٢ : ١٤).

قال كودات: «سنُخلَّص في ذلك اليوم العظيم فقط، إن كنا قد تقدسنا في حياة المسيح بعد أن تبررنا بموته».

يكتب بولس إلى المتبررين في (رومية ٨:١٣) قائلاً لهم: «إن عشتم حسب الجسد، فستموتون» وهذا يعني أن الموت الثاني ينتظركم بكل تأكيد رغم التبرير المُعطى لكم. وأعمال الجسد ليست هي فقط ما نسمّيه بالخطايا الشنيعة، كالزنى

والفجور وعبادة الأوثان والسكر والشراهة والسرقة والتجديف، بل أيضاً محبة الذات المستترة والعناد والشك وعدم الإيمان وسوء الظن والتذمّر على الله والخصام والغيرة والحقد والكلام الرديء والخلاف والحسد والبغضة والطمع. فكل من يسلك في إحدى هذه الخطايا، ليس له «ميراث في ملكوت المسيح والله». «لا يغرّكم أحد بكلام باطل» (أف ٥:٥، غل ٥:١٩). يالعظم قدرة كلمة الكتاب الفاصلة!

قال الأستاذ ت شلتر: «الروح والجسد في نظر بولس مذهبان متناقضان، ينبغي على المسيحي أن يختار أحدهما. فهما حقلان مختلفان ينمو في كل منهما زرع مختلف تمام الاختلاف عن الآخر».

فالمسيحيون الذين لم يتحرّروا من عبودية الخطية، لا تنتظرهم السعادة بل غضب الله. فكأبناء المعصية، لا فائدة لهم في تعزية أنفسهم بالتبرير الوهمي (أف ٥:٢) «ألستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟ لا تضلوا» (١كو ٦:٩).

قال الأستاذ ت. شلتر: «لا يعزي بولس المسيحيين مرة واحدة كأنهم رغم خطاياهم يقدرون أن يعتمدوا على النعمة، لأنهم ملك للمسيح أو لأن الخطية لا تستطيع أن تفصلهم عن الله. فالواضح

أن ذكر الخطية لا يرد في (رومية ٨:٣٨). فإن بولس يشدِّد على أن الخطية تفصل الإنسان عن الله وعن ملكوته».

- فلا يجوز لنا أن نمنح تعزية الغفران الرخيصة حيثما العهد الجديد لا يعزي بل يحذر، وحيثما الرب لا يغفر بل يدين. فهذا ما يصرح به الرب «أنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات» (مت ٥ : ٢٠). فالله القدوس لا يرضى بأعمالنا الناقصة، وهو لا يغض الطرف عن خطايانا. ولا فرق عنده إن كنا نتظاهر بالتقوى أم لا، لأنه لا يأخذ بوجوه الناس (قابل رو ٢: ٦—١١). إن كنا يهوداً أو يونانيين، مسيحيين أو وثنيين، فإن نصف الطاعة فينا هي دائماً في نظر الله عصيان كامل (يع ٢ : ١٠)

قال الأستاذ إتسولد: «لا ينفعك مجرد المعمودية إن لم تحفظ الناموس ولا ينفعك السر المقدس، إن لم يوصلك إلى الإيمان الحقيقي العملي».

قد أوضح يسوع لتلاميذه جلياً، أنه لا يقبل أن يكتفي بالتقوى الخارجية إذ يقول: «ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (مت ٧: ٢١). فمن نحن حتى نتجاسر على

الادّعاء بأن تطبيق مشيئة الله عملياً غير ممكن في هذا العالم؟! ألم تكن غاية مجيء ابن الله إلى العالم هي أن «يتم (بفدائه) حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨:٣).

قال الأستاذ فتسر: «أين يقول يسوع: هذه هي مشيئتي، لا أحد يستطيع أن يعملها؟ وأين يقول: هذه هي وصاياي، لا أحد يقدر أن يحفظها؟»

وقال القس ريتملر: «لا يقبل الديان الأزلي مطلقاً في الدينونة الأخيرة أي اعتذار أو اعتراض على كلامه، بأنه كان قاسياً أو أن تطبيقه كان غير ممكن. ولكنه سيبرهن لنا أن كلامه هو بشارة النعمة الحقة، وأن تكميله بلا شك غير ممكن عند الناس، ولكن عند الله كل شيء مستطاع، لأن النعمة في الضعف تُكمَل».

وقال الأستاذ شنيوند: «أما هذا التكميل فهو أمر جديد تماماً، وهو آية عجيبة يجريها الله وحده».

لا يجوز لنا أن نبتعد عن الحقيقة، وهي أن يسوع ليس فيلسوفاً مثالياً، بل هو مسيح الرب، الذي عيَّن لتلاميذه هنا على الأرض هدفهم «كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت ٥:٤٨).

قال الأسقف ديباليوس: «الله يطلب الإنسان بجملته، ويطالبه بكل شيء، أي أن يكون كاملاً كما أن الله هو كامل... فإما أن نتمم هذا أو نفصل أنفسنا عن ملكوته المقدس الذي يريد أن يقيمه».

وهكذا وضّح لنا الإله القدوس الحي بأجلى بيان، أنه لا يمكن أن يتساهل مع خطايا المسيحيين ولا أن يتغاضى عنها، بل بالعكس فهو النار الآكلة (عب ١٢: ٢٩) وهو يعامل خطايا الأبرار بأكثر شدة، ويعتبرها أعظم من خطايا الأشرار، لأن كل من غُفرت خطاياه الماضية بالنعمة يوجّه إليه الرب أمره الواضح والصريح: «لا تخطيء أيضاً» (يو ٨: ١١). وبذلك فهو يسد في طريقنا كل مهرب، ويرفض كل اعتذار ديني أو عقائدي بسبب عصياننا. «لا يضلّكم أحد» (١يو ٣: ٧، أيضاً ٦: ١٠).

قال الأستاذ برنر: «الخطية عكس الإيمان، وهي على خط النقيض تماماً مع الله. فالإنسان إما أن يعيش في الخطية، أو في الإيمان كلياً، تماماً مثلما يكون إما نائماً أو مستيقظاً، إما ميتاً أو حياً، ولا يمكن أن يكون في حالة وسط».

وقال القس فِتسر: إن العبارة «أنا متبرر وخاطيء في نفس

الوقت» غير موجودة في أقوال بولس، ولا في العهد الجديد كله.
فملءُ النعمة لا يشطب دينونتنا فحسب، بل كياننا القديم أيضاً.
ولا نجسر على الإدعاء بأن المسيحي بار، إن كان يخطيء».

وهكذا ينتظر المسيح الحي منا نحن اللاهوتيين، أن نرجع عن طرقنا القديمة، وأن نكون مستعدين لإصلاح نظرياتنا التقليدية بواسطته وبواسطة كلمته الصادقة. وإن كنا مع ذلك لا نزال نتمسك بتعليم تقاليدنا الكنائسية، ونحاول أن نغض النظر عن هذا المطلب الإلهي الصريح بأن لا نعود نخطيء (يو ٥:١٤) فلا يبقى لنا عذر، لأننا نكون قد أنكرنا يسوعَ قدوس الله، وجعلناه كاذباً. فحينئذ يخاطبنا هو بشدة قاطعة قائلاً: «فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم يامراؤون. حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً: يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً. وباطلاً يعبدونني، وهم يعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس. كل غرس لم يغرسه أبي السماوي، يُقلَع. اتركوهم هم عميان قادة عميان» (مت ١٥:٧ــ٩، ١٣ــ١٤). وعندئذ يجب علينا أن نتحذر بكلمة الرسول: «انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل، حسب تقليد الناس،

حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح» (كو ٢:٨). لا ياإخوة، لا يجوز ذلك! فلا نريد أن نقاوم الروح القدس إذا أقنعنا اليوم بدعوته (أع ٧:١٥) بل نريد أن نخضع لسلطة كلمة الله، التي تحثنا قائلة: «إذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء، لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكمِّلين القداسة في خوف الله» (٢كو ٧:١).

قال رالف لوتر: «أظهر المسيح في أيام عمله اعتباره للعادات والتقاليد الشائعة... ولم يتعرَّض لها بقدر الإمكان، ولكنه لم يسمح أن تساعد هذه على تفسير شريعة الله». ويقول المؤلف في كتاب آخر: «عوضاً عن الخضوع لشهادة الكتاب، نحن نتخذ اختباراتنا كمقياس لنا، ونجعل منها عقائد».

إنه من المؤسف حقاً أن ما تعلمه الكنيسة المسيحية عموماً منذ أمد بعيد عن التقديس، لا يتفق مع مفهوم الكتاب، لأنه تقديس يعتمد على حفظ الناموس، ويُتمَّم بقوتنا الذاتية. وبنفس المعنى تقريباً، نحن نظن أن التبرير يمكن الحصول عليه كهبة الإيمان فقط، أما التقديس فيلزم إحرازه بمجهوداتنا البشرية الخاصة، أي بجهادنا المرير ضد سلطة الخطية. وكم يختلف هذا التقدس عن ذاك الذي نقرأ

عنه في العهد الجديد: «بهذه المشيئة نحن مقدَّسون، بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة... بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين» (عب ١٠: ١٠، ١٤). فالتقديس حسب العهد الجديد لا يعني أن نستخدم كل قوانا الطبيعية لإخضاع الإنسان القديم، ولا أن نتوصل بالجهد إلى إصلاح تدريجي. فإن من يحاول ذلك لابد أن محاولته هذه ستؤدي به إلى الفشل والخيبة، لأن إنساننا القديم غير قابل للإصلاح مطلقاً، ومهما حاولنا إخضاعه وتهذيبه، فإنه يظل فاسداً ومحكوماً عليه باللعنة، وتبقى أفكاره حتى في أصلح مظاهرها دائماً وأبداً في عداوة مع الله (رو ٨: ٦). فالجسد لا يستطيع أن يُرضي الله، صالحاً كان أم شريراً (يو ٦: ٦٣، رو ٧: ١٨، ٨: ٨) فلذلك لا فائدة من كل مجهودات الجسد، حتى الصالح منها، ولا أمل لها مطلقاً للإنتصار على الخطية (يو ٣: ٦) لئلا يفتخر الجسد.

قال الأستاذ كودات: «نحن نعتبر التبرير هبة إلهية، أما التقديس فنحن نحسبه عملاً شخصياً نبادل به هبة البر».

«أما ما كان مستحيلاً تحت الناموس، هذا أنجزه الله» (رو ٨: ٣). فالتقديس تحت النعمة، لا يمكن أن يعني شيئاً

آخر سوى أن نضع ذواتنا، ونحن واثقون بمحبة الله المتجلية في يسوع المسيح، على أساس الخلاص الكامل المُنجَز في الجلجثة، ونحسب أنفسنا موتى عن الخطية بسبب صلب إنساننا القديم الفعلي مع المسيح «ليُبطَل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبَد أيضاً للخطية» (رو ٦:٦،١١). «فإن الخطية لن تسودنا لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو ٦:١٤). وفي موقفنا هذا نحن لا نضطر أن نتساهل مع الجسد، لأن سلطته قد تحطمت، بل على العكس فإننا نستطيع أن نوقف تحركاته ونضبطه في الموت (رو ٨:١٣) وننتصر بقوة الروح انتصاراً كاملاً (رو ٦:١٢ـــ١٨، ٧:٥، ٨:٤، غل ٥:١٦ـــ١٨،٢٥).

قال القس شتاينبرجر: «هنا فقط الطريق الذي يؤدي من نصر إلى نصر، وهنا وُجدت سر حياة الانتصار. فبدون فهم الأصحاح السادس من رسالة رومية وتطبيقه، لا يمكن للإنسان أن يكون مسيحياً».

وقال الأستاذ شلتر: «يريد بولس أن يرينا في (رو ٦:٦) أننا تحررنا من عبودية الخطية». وأيضاً «لاعلم لبولس أن المسيحي دائم الاندفاع إلى الخطية لارتباطه بالجسد، وأنه رغم إيمانه يضطر أن

يخطيء. وهو لا يوافق على الادّعاء القائل: أن المسيحي لا يقدر إلا أن يخطيء».

فلما نتأمل في محبة ربنا الفائقة الممنوحة لنا، نبتديء نفهم معنى صليبه لحياتنا الشخصية. وهكذا بعد اشتراكنا في شبه موته أي صلبنا معه، يجوز لنا الاشتراك الفعلي أيضاً في ثمار قيامته لنحصل على حياة جديدة أي حياته (رو ٦:٤،٥).

قال الأستاذ كودات: «التقديس مفسَّر بالعبارة «الحياة مع المسيح» (رو ٦:٨) لأنه يتوقف على امتلاك حياة القائم من بين الأموات المقدسة فعلاً».

وهكذا نحن نُعطَى التقديس على أساس تبرير المسيح لنا بواسطة مجده فينا، كهبة خالصة فقط (١كو ١:٣٠). وأين يصبح تعظيم أعمالنا الصالحة؟ إنه يتلاشى تماماً (رو ٣:٢٧، أف ٢:٩). هذا هو التقديس بالنعمة بالإيمان فقط.

قال القس هـ . برندنبرج: «تنتهي تحت الصليب كل محاولة للخلاص بقوانا الشخصية، ولا يبقى لنا إلا نظرة الثقة نحو ذاك الذي يتألم حباً بنا ويموت لأجلنا».

وقال المؤلف: «لا يجوز لنا أن نحصر شعار الإصلاح «من مجرد نعمته» في التبرير فقط، بل يجب أن نطبقه تطبيقاً شاملاً، مبدئياً وعملياً، على التقديس أيضاً. فلا يكفي إبعاد أعمال الناموس عن تعليم التبرير، ولا يجوز إبقاء مكان للأعمال البشرية تحت الناموس للتقديس، لكي تبقى هنالك إمكانية لاستحقاق الإنسان المزعوم»

وقال الأستاذ بارت: «إن قضية الآداب المسيحية مساوية لقضية علم الإيمان وهي: المجد لله وحده!».

فلا يجوز إذاً أن نبني تقديسنا على جهودنا الخاصة، لأن الكتاب يقول: «لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين، فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة» (ابط ١: ١٣). فبعد إتمام صلبنا مع يسوع بالإيمان، لا يبقى لنا إلا أن ندع ذواتنا محفوظين من كل عثرة بقوة كفارة دم يسوع (٢تس ٣: ٣، يهوذا ٢٤، وغيرهم) لأن «كل من يثبت فيه، لا يخطيء» (ايو ٣: ٦). فمن يجرؤ على إنكار إمكانية الثبات فيه، ويجعل الرب كاذباً؟! ومن يريد أن يتردد لحظة واحدة تجاه كلمة الرب هذه، ولا يؤمن أن الذي وعد سيظل أميناً لوعده؟! فالرب نفسه يقول: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٥: ٤). فهو بذلك يشترط شرطاً قاطعاً ويقول أن الأثمار لا تجيء إلا بثبات تلاميذه فيه.

قال الأستاذ أ. شلتر: «يُخرج المسيح من تحت سلطة الخطية جميع الذين يعيشون في حضرته... ويلغي اضطرارهم للسقوط في الخطية. لقد كانت في يسوع الطاعة لإتمام مشيئة الله، وهذا يوضح حقيقة ما يصير عليه أولئك الذين يثبتون فيه».

والسبيل إلى ذلك هو اتّباع وصاياه «إن حفظتم وصاياي» وهذا يعني: إن تتبّعتم خطواتي (١بط ٢: ٢١) «تثبتون في محبتي، كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته» (يو ١٥: ١٠). وبهذه الآية يقول لنا الرب بأجلى وضوح أن ثباتنا فيه واجب وممكن، لكي يكون اشتراكنا في حياته إشتراكاً تاماً مستمراً وأبدياً، كما كانت حياته على الأرض متصلة بالآب. وبناءً عليه فإن الطاعة الكاملة هنا هي وجه الشبه. وقول يسوع هذا ليس نظرية خيالية غير قابلة للتطبيق في الحياة العملية المليئة بالتجارب والضيقات والمحن، بل هو حقيقة راهنة يمكن اختبارها «وبهذا نعرف أننا قد عرفناه، إن حفظنا وصاياه. من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته فحقاً في هذا قد تكمّلت محبة الله. بهذا (أي بالطاعة الكاملة والمحبة الخالصة) نعرف أننا فيه» (١يو

٣:٢ـــ٥). فالكيان الجديد في المسيح إذاً، ليس مجرد الإيمان، بل هو كيان ظاهر أيضاً (٢كو ٣:١٨، ٤:١٠) ويصرّح يسوع نفسه، أن السلوك الجديد يظهر جلياً (مت ٥:١٦) وأن تلاميذه لا يُعرَفون إلا بسيرتهم المقدسة، بواسطة المحبة الطاهرة المنسكبة في قلوبهم (رو ٥:٥، يو ١٣:٣٥). وعلى هذا النمط فقط، نستطيع أن نتمّم دعوتنا لنكون ملح الأرض ونور العالم (مت ٥:١٣) بواسطة تجسّد جوهر الرب فينا (غل ٤:١٩) وإلا يعتبرنا الرب ملحاً فاسداً، لا قيمة له فنُطرَح خارجاً.

فمن يدّعي بأنه لا يخطيء، أو بالأحرى أنه في حالة عدم الخطية حتى أنه يعتبر الطلبة الخامسة في الصلاة الربانية غير ضرورية له، من يظن ذلك يُضلّ نفسه وليس الحق فيه (ايو ١:٨). فلا علاقة للعهد الجديد بمذهب الكمالية هذا، إذ أن المخلّصين لا يُلبَسون طبيعة عدم الخطية، بل يبقى فيهم جسد الخطية بعد التجديد أيضاً، أي ذلك الجسد الذي كان ابن الله نفسه يحمل هيئته على الأرض (رو ٨:٣). فعندما ينظر المسيحيون إلى أنفسهم، فإنهم يرون أنهم نفس الخطاة كما كانوا قبلاً، لأن ما تجدد في حياتهم ليس منهم

شخصياً، بل من المسيح فقط. ففيهم لا ولن يسكن شيء صالح (رو ٦:١٨).

يقول المؤلف: «إن الأصحاح السابع من رومية هو وصف لمحاولة التقديس الشخصي المثالي، حيث تحاول التغلب على الخطية بقوتنا الذاتية، أي بدون المسيح وبدون الروح القدس، اللذين لا يرد ذكرهما هنا. وإن كفاحاً كهذا في سبيل التقديس، غير موعود بأي انتصار».

وقال البروفسور ألتهاوس: «يصف هذا الأصحاح حالة الإنسان تحت الناموس، وذلك من وجهة نظر المتحرر من الناموس بالمسيح. وهذه النظرية في رومية أصحاح ٧ يقبل بها حالياً كافة العلماء».

وقال القس فشر: «إن مثل الكرمة في يوحنا أصحاح ١٥، هو الجواب الصريح على السؤال حول العلاقة بين الأصحاحين ٦ و ٨ من رومية «من يثبت فيَّ وأنا فيه يأتي بثمر كثير». هذا مغزى (رومية ٦ و ٨). أما الأصحاح السابع فهو البرهان لقوله «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً. لذلك فيجب أن تُطرَحوا خارجاً».

فعندما يتميَّز المسيحيون عن محيطهم، وهذا يحق لهم ويجب عليهم، فهذا ليس بفضل ما لهم في ذاتهم ولا ما أنجزوه بأنفسهم، بل بوجود يسوع وعمله وحده فيهم. فالإنسان

القديم قد سُلِب حقه في الحياة بصلبه مع المسيح، لكنه لم يتلاشى تماماً ويحاول دائماً المطالبة بحقوقه الضائعة والفوز بها. ولذلك يجب علينا أن نعارضه يومياً من جديد، بالاعتماد على الصليب. ونحن لا نبلغ حالة عدم الخطية التي لا تتعرض للسقوط، بل حالة إمكانية التحرر من الخطية بانتصار الرب على الصليب. وهذه الحرية محاطة بالمخاطر، كما يقول الرسول: «إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو ١٠:١٢). لذلك يجب على المقدّسين أن يكونوا في حالة الخضوع الدائم والصحو، وأن يعتمدوا دائماً وأبداً على النعمة. فإن الشرير سيحاول أن يؤذي مفديّي الرب بسهامة الملتهبة، وأن يُسقِطهم، لكننا نستطيع بواسطة ترس الإيمان أن نطفيء ليس فقط بعض سهامه أو معظمها بل «نطفئها جميعها» (أف ٦:١٦) وهذا يعني التغلب على جميع التجارب والمحن (رو ٨:٣٧) علماً بأن الله قد أجاز لنا هذا الفوز بالحقيقة، بل هو مشيئته المقدسة لنا.

هذا هو الهدف الأسمى، ويجب علينا ألا ندعه يغيب عن أنظارنا بسبب نقائصنا أو من جراء الواقع المؤسف الذي اختبرناه في حياتنا. ويجب أن لا نخفض مستوى الهدف على

أساس اختباراتنا الشخصية، بل بالعكس يجب أن نوجه حياتنا ونكيِّفها تماماً على قياس هذا الهدف الإلهي. ولكننا لن نختبر الانتصار الدائم الموعودين به إذا كنا نستخدم الإيمان كملقط لا كترس، كما هو الواقع في الغالب مع الأسف. فعوضاً عن أن ندفع التجارب عنا، ونتغلَّب عليها بترس الإيمان، نحن نترك سهام العدو تصيبنا، وبعد ذلك نستخدم الإيمان كملقط فقط وننتزع به السهام من أجسامنا، أي بأن نطلب غفران خطايانا يوماً فيوماً. ولكن هذا ليس ما يعنيه بولس. أما متى فُزنا بالثقة المنتصرة، أي الثبات في المسيح، فإننا حينئذ نتقدس، لأن الله يستطيع أن يقدس من هم ملكه تقديساً كاملاً. فإنه لا يهمه انتصار أولاده الظاهر فقط وإنما يهمه أولاً وآخراً شركة محبتهم وحياتهم الحقيقية معه وتحوّل كيانهم إلى صورة المسيح. إن الله يحفظ كيانهم كله روحاً ونفساً وجسداً بلا لوم إلى مجيء ربنا العظيم (١تس ٥:٢٣).

قال الأستاذ ألتهاوس: «إن هدف التقديس هو أن نوجَد بلا لوم عند مجيء يسوع المسيح، وأن نكون كلنا في درجة الصلاح الكمال والنضوج. وهذا الهدف يمكن الوصول إليه، لأن

المسيحيين هم تحت سلطة روح الله. ونحن لا نسمع من بولس أن الخطية تهاجمهم حتماً، وتسطو عليهم. ولا يعرف بولس الخطية الإرثية، التي تجبر الناس أن يخطئوا بعد أن امتلكهم المسيح. فلقد حكم الله على آدم، وجعل جميع ذريته خطاة (رو ٥:١٩)، ولكن هذا الحكم أزاله الحكم المضاد، الذي جعل جميع المؤمنين «في المسيح» أبراراً، أي أبراراً حقيقيين في الكيان والعمل محرَّرين من لعنة اتصالهم بآدم».

قال المصلح لوثر: «إن لم تظهر الأعمال، فذاك إثبات على عدم وجود الإيمان بل وجود فكر ميت ووهم خيالي يسمُّونه خطأً إيماناً (يع ٣:٧). فالأعمال لازمة للخلاص (مت ٧:٢١—٢٣، ٢٥:٣١—٤٦، ١كو ١٣) لكنها لا تُنتج الخلاص ولا تُسبِّب الخلاص لأننا نحصل على الحياة الأبدية بالإيمان فقط (يو ٣:١٦)، ولكن لأجل المرائين نحن نضطر أن نقول أن الأعمال الصالحة لازمة للخلاص. فبلا شك أن برّ الإيمان يُعطَى بدون الأعمال، ولكن لأجل الأعمال. إن الإيمان الذي لا يغيِّر القلب ولا يُوجِد إنساناً جديداً ويُبقِي القديم في أفكاره وسلوكه السابق هو إيمان باطل لا محالة، والأفضل عدم وجوده بالتمام».

ومع ذلك، نحن لا نغضّ الطرف عن حقيقة الخطية، التي يصف بها العهد الجديد بعض كنائس عصره (١كو ،

رؤ ٢،٣) والتي نضطر أن نعترف بها بأنفسنا حتى نبقى معتمدين كل أيام حياتنا على مغفرة الرب الدائمة (مت ٦: ١٢) ونحمده على ما هو مكتوب في (١يو ٢: ١) «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب...». وهكذا لا يقدر أحد أن يؤكد أن قبوله الخلاص أوصله إلى درجة القداسة، التي نصل إليها نظرياً أو عملياً، وإنما صار إلى ذلك بالكفارة التي أكملت على الصليب. وهنا يصدق قول تسنزيندورف: «إن كنت باستحقاق الرب أميناً جداً في خدمته، وانتصرت على الشرير انتصاراً كاملاً، ولم أعد أخطيء حتى الموت، فإنني متى صعدت إليه لا أعود أفكر في صلاحي وتقواي ولكن أقول: يرجع الخاطيء المسكين لنيل السعادة بالفداء فقط». ولا ننسى أيضاً قول المرنم: «السهوات من يشعر بها؟ من الخطايا المستترة أبرئني» (مز ١٩: ١٢).

كلما اقترب التلميذ من سيده، كلما ازداد ارتعاده من شناعة فساده. وكلما اتبعنا الرَب، كلما ازددنا تعمقاً في معرفة خطايانا، ولذلك فإن خضوعنا له لن ينتهي. فإن حياة التلميذ ليست من إيمان إلى إيمان فحسب (رو ١: ١٧) بل من خضوع إلى خضوع أيضاً. وبخلاف ذلك ينبغي علينا

أن لا ننسى أبداً هدف الله الرئيسي وهو «أن يُثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع مع جميع قديسيه» (اتس ٣:١٣). ويتبين من ذلك أن هذه الآية لا تناقض ما قلناه سابقاً بل تتعلق به علاقة روحية حية عميقة. ففي يوم ظهوره، رتَّب المسيح لكنيسته «أن يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥:٢٧). ولذلك دعانا «ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى» (عب ١٢:٢٨) وبذلك نكون قد وصلنا إلى بداية الحديث، وهو أن الرب قد وضع أصحاب سلطانه في كنيسته، لإعداد قديسيه «لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ينتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤:١١ــ١٣).

وهكذا ينبغي على كل الأعضاء أن ينموا معاً فيه ــ أي الرأس ــ إلى وحدة روحية حية غير مفككة في شركة محبته وحياته (يو ١٧:٢١، أف ٤:٣) حتى يمكنهم أن يبنوا بعضهم بعضاً لكي يتم نمو الجسد في المحبة (أف ٤:١٢) لأن

المحبة هي رباط الكمال (كو ٣: ١٤). وكل هذا هدفه هو أن يلتقي العريس السماوي عند ظهوره المجيد بجماعة مقدسة بمحبته، ويرى فيها صورته الشخصية (رو ٨: ٢٩، ٢كو ٣: ١٨، غل ٤: ١٩) ويجد فيها جماعة مستعدة لأن تستقبله (مت ٢٥: ١٠) ومتأهبة لأن ترتفع إلى عرشه للسيادة معه (رؤ ٣: ٢١).

فإن خدام الكلمة الحقيقيين، يعرفون أنهم أيضاً سعاة ينادون بمجيء الملك، بإعلان قدوم ذلك اليوم العظيم، الذي لا يمكن تعيين وقته، والذي مع ذلك يمكن حدوثه في أي وقت، كما هو مكتوب: «قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه... هللويا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء، لنفرح ونتهلل ونُعطِه المجد لأن عُرس الخروف قد جاء» (رؤ ١١: ١٥، ١٩: ٦).

فلم يكن من الضروري أن نُشير إلى أن مجيء الرب لا يجلب حتماً انقضاء العالم كما يظن الكثيرون، ولا الدينونة الأخيرة. فإن ليسوع قصداً آخر بمجيئه الثاني، وهو أولاً قبول منتظري قدومه واجتماعهم إليه (٢تس ٢: ١) وبعبارة أخرى يُختَطفون لملاقاته في الهواء (١تس ٤: ١٦) وثانياً

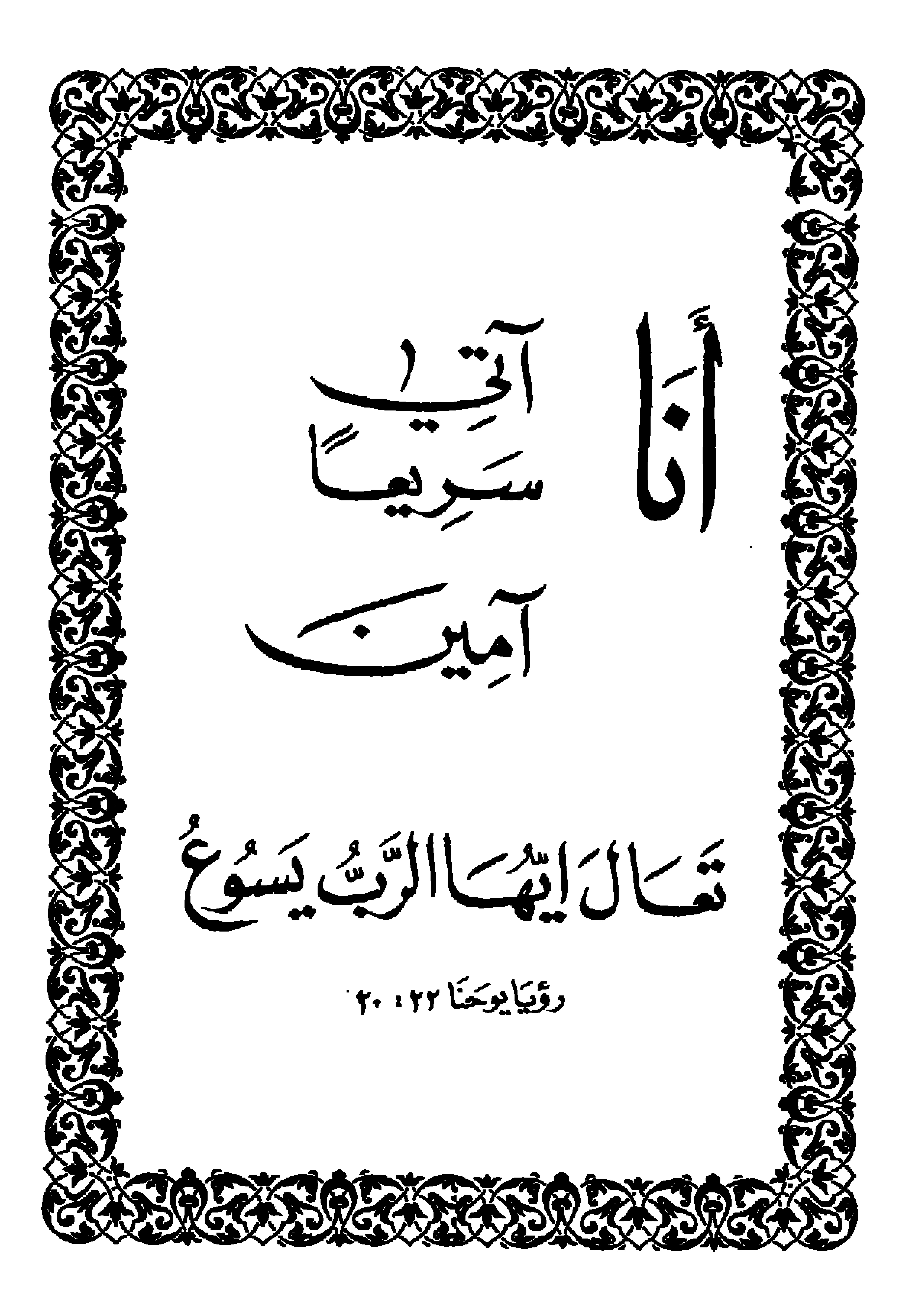
تأسيس مملكة السلام غير المحدودة على الأرض القديمة، بينما يُقيِّد الشيطان في الهوة ويرث الودعاء الأرض (مت ٥:٥) «ليكونوا كهنة لله والمسيح ويملكوا معه ألف سنة» (رو ٢٠: ١—٦).

وبما أن هذه كلها ستكون، يجب على سفراء الملك أن يخبروا رفقاءهم عن هذا الحدَث العظيم المقبل، حينما تنشقّ السحب ويبرز من السموات يسوع الناصري، الذي يعتبره الكثيرون ميتاً. هذا يظهر كملك الملوك في مجد أبيه وجلاله. فيلزم إذاً تحذير الغافلين قبل فوات الأوان، لكي لا يصيبهم ما أصاب العالم في أيام نوح، الذي قيل عنه «كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون، إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع» (مت ٢٤: ٣٨، ٣٩).

قال الأستاذ فري: «إن علمنا بمجيء الديان يهيب بنا نحن سعاته أن نحذِّر العالم بقرب مجيئه».

والآن أيضاً، لا يعلم الكثيرون الوقت الذي فيه تدق ساعة الله. ومع الأسف فإن المسيحيين يقفون موقف المترفع

المطمئن الذي يقول: «سيدي يبطيء قدومه» (مت ٢٤: ٤٨) لذلك سيسعى حرّاس سور صهيون الأمناء قبل كل شيء، إلى تحذير الجميع وتنبيههم إلى أنهم، رغم إخلاصهم للكنيسة هم في خطر البقاء على الأرض، إذا كانوا غير مستعدين، حينما يظهر يسوع في السحب فجأةً وبدون انتظار «ويخطف العذارى الحكيمات» عند صوت بوق الله (متى ٢٤: ٤٠) ليتمتعن في العرس السماوي، لكونهن مستعدات (١تس ٥: ٦) «ومنتظرات ظهوره من السموات بكل محبة واشتياق» (٢تيمو ٤: ٨، فيلبي ٣: ٢٠). فمن له أذنان للسمع، فليسمع ما يقوله الروح للكنائس. وليسمع أيضاً صوت نصف الليل: «هوذا العريس مقبل، فاخرجن للقائه» (مت ٢٥: ٦).


أنا
آتي
سريعًا
آمين
تعال أيها الرب يسوع
رؤيا يوحنا ٢٢ : ٢٠

خامساً: نتائج خدمتهم

(١) يبيّن الله - شرعية خدامه بمظاهر قوة الروح القدس:

بالاستناد إلى شهادة الكتاب المقدس، نستطيع أن نؤكد بأنه حيثما يكرز سفراء الله الحي المفوضون بالانجيل، فهناك يكون الله موجوداً بقوة الروح القدس. وأهم برهان لإثبات هذه الحقيقة هو الآية الموجودة في نهاية انجيل مرقس: «أما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبّت الكلام بالآيات التابعة». وهذه هي العلامة المميِّزة للمفوَّضين من قِبَل الذي قام من بين الأموات، أن الرب المرتفع نفسه يعمل فيهم ومعهم ويُثبت صدق شهادتهم بالقوات الإلهية التي تجري أمام عيون الحاضرين: المرضى يبرأون، والشياطين يُطردون (أع ٥:١٦، ٨:٧، لو ١٠:١٧) والمقيَّدون بسلاسل الخطايا يتحرَّرون، وتُدكّ جميع حصون الشيطان (٢كو ١٠:٤، لو ١٠:١٩) وقبل كل شيء يحل الروح القدس على سامعي الكلمة (أع ١٠:٤٤).

وهكذا يكون السفراء آدوات في يد ملكهم العامل الحقيقي الوحيد. فهو الذي يلمس المرضى (يو ٥:١٥) ويحلّ المقيَّدين (لو ٤:١٨، إش ٤٢:٧) وهو الذي يطرح الشيطانُ أمامه أسلحتَه (كو ٢:١٥) وهو أيضاً الذي يعمِّد بالروح القدس والنار (مت ٣:١١). وإننا نجد خلاصة ما قيل بأكثر وضوح في الرسالة إلى العبرانيين «كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره، قد ابتدأ الرب بالتكلُّم به، ثم تثبَّت لنا من الذين سمعوا، شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته» (عب ٢:٣) وقابل أيضاً (رو ١٥:١٨، أع ١٤:٣).

قال الأستاذ كارل بارت: «يتوقف نجاح الجرأة في الكلام المسيحي على إيماننا وطاعتنا — أي على نعمة الروح القدس».

وقال القس دنتبوم: «إن ألف كلمة بليغة قد لا تصيب قلباً واحداً، وكلمة واحدة تخرج بسلطان هي مجموعة من السهام الحادة التي تصيب ألف ضمير مرة واحدة».

وهكذا تحدث بواسطة قيام شهود الرب الأقوياء في الروح تغييرات وتحركات حاسمة في العالم المنظور وغير المنظور. ويتبع ذلك تنقلات لها تأثيرها العظيم في مناصب الناس والملائكة

والشياطين. ولا ننسى أن الأرواح الشريرة حسب الكتاب المقدس، يلاحظون في الحال إن كان مهاجمي حصون الشيطان باسم يسوع لهم سلطان إلهي وتفويض لفعل ذلك أم لا. وإن لم يكن لهم ذلك، فمهما استخدموا اسم يسوع بأفواههم لا تتراجع أرواح الشر عن مواقعها شبراً واحداً، ولا يطلقون سراح حتى نفس واحدة، بل العكس تماماً (أع ١٩: ١٣ـــ١٦).

يقول المؤلف: «ما أكثر الناس في المدن والقرى، الذين وقعوا بدون وعي تحت سلطة القوات الشيطانية بسبب الاستعانة بالشيطان، عن طريق الرُقَى وتحريك المائدة ومناجاة الأرواح واستشارة الموتى والعرافة وقراءة الفنجان وتوزيع ورق اللعب وكشف أسرار النجوم وغيرها (تثنية ١٨: ١٠) هذه الوسائل الشيطانية تستعبدهم جسداً ونفساً. وبالرغم من اشتياقهم الحار إلى التحرر منها، يقف ألوف الوعاظ ورابحو النفوس خائري القوة ومتحيِّرين، لأنه ينقصهم السلطان لأن يحلّوا النفوس المقيدة ويطلقوها باسم مَن هو أقوى من القوى الشيطانية. ليتنا نستطيع سماع أرواح الشر في جهنم، وهم يضحكون باستهزاء على كلامنا المتزن والتقوي الخارج من أفواهنا، بلا قوة ولا تأثير، ويهتفون واثقين بقوتهم، ويهزأوان بعدم قدرتنا على انتشال نفس واحدة من قبضتهم. ليتنا نسمع، وأخيراً

نجفل من دوام ضربنا في الهواء بلا فائدة، ونحاضر في الجهاد حتى ننتقل من حالة فشلنا وطمأنينتنا الباطلة إلى السلطان الذي وعدنا الرب به».

(٢) المسيح الحاضر يتكلم هو نفسه بأفواه الذين فوضهم، حتى أن الحضور لا يسمعونهم بقدر ما يسمعونه هو:

وهكذا يتم الوعد العظيم «من يسمعكم يسمعني» (لو ١٠:١٦). ففي الكرازة المعطاة بالتفويض الروحي، يسمع الذين من الحق صوت الراعي الصالح ويتحققون من مصدره الإلهي (يو ٧:١٧، ١٠:٢٧، ١٨:٣٧، ٢كو ١٣:٣، إرميا ١:٩) وذلك يتوقف على ما يلي:

(٣) أن ضمائر السامعين تتبكت في أعماقها:

يخترق سيف الروح القلوب (عب ٢:٣٧) فتظهر كلمة الله أنها «حية وفعَّالة وأمضى من كل سيف ذي حدّين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميِّزة أفكار القلب ونيَّاته. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعينَي ذلك الذي معه أمرنا»

(عب ٤: ١٢—١٣) ولا يعود السامعون يرون المتكلم، بل بالحري يجدون أنفسهم قد انتقلوا إلى محضر الله الحي القدوس مباشرة. وفي نوره الساطع، يتحققون هلاكهم الأبدي المطلق (يو ١٦: ٨) وتنكسر مقاومتهم وتزول، فيستسلمون ويخرّون ساجدين (١كو ١٤: ٢٥، أع ١٦: ٢٩)) وهكذا يفتح الله القلوب (أع ١٦: ١٤) ويجتذب المستقيمين بقوة محبته إلى شركة ابنه (يو ٦: ٤٤، ٦٥) ويخلق العزم على تسليم الإرادة. وبالاختصار يمنحهم العودة إلى الحياة (أع ١١: ١٨، ٢١، ٥: ٣١، إرميا ٢٣: ٢٢).

قال الأسقف برون: «إن كانت غاية خدمتنا الجوهرية هي خلاص النفوس، فإننا نفشل في عملنا إذا لم يتحقق هذا الخلاص. وهذا الفشل لا يمحوه المدح الذي تستحقه خدمتنا في نواحٍ أخرى».

(٤) افتراق الأرواح:

عندما تُقدّم رسالة يسوع ممسوحة بالروح القدس، فإنها تخترق نفوس السامعين والمتكلمين. ومع ذلك فإن تأثيرها يختلف في الواحد عن الآخر. ولا شك أن الجميع يُنخَسون

على السواء في قلوبهم، أما القرار الذي يتخذه الإنسان في هذا الشأن، فإنه يختلف باختلاف الناس. فبينما يطيع البعض صوت ضمائرهم، ويصرّحون في رعدة مقدسة «ماذا ينبغي أن نعمل لكي نخلُص» (لو ٣: ١٠، أع ٢: ٣٧، ١٦: ٣٠، ٢٢: ١٠) يُغلق الآخرون قلوبَهم معاندين، ويعبّرون عن ثورتهم قائلين: «إن هذا الكلام صعب... من يقدر أن يسمعه» (يو ٦: ٦٠،٦٦).

وللأسف الشديد فإن المتدينين المسئولين في الكنائس، غالباً ما يعترضون بأكثر شدة على الكرازة المندفعة بقوة الروح، لأنها توقظهم من سباتهم المعتاد واطمئنانهم، وتكشف خوافي كيانهم غير المقدس. على عكس دموع الخطاة التائبين المخلَّصين وفرحهم وتهليلهم، الذي لا يوافقون عليه. هكذا حدثت ومازالت تحدث نفس الأمور في تاريخ الكنيسة، منذ أيام استفانوس وإلى أيامنا الحاضرة، حينما يتكلم الله بواسطة مسيحه أو بواسطة أصحاب سلطانه: البعض يخضعون ويطيعون الحق، والآخرون يثورون وفي مقدمتهم علماء الدين المتعصبين «الذين يصرّون بأسنانهم عليهم ويسدّون آذانهم ويلتقطون الحجارة» (أعمال

٥:٢٣ــ٧:٥٤،٥٧، ١٤:٤، ١٧:٣٢، ٢٨:٢٤، يو ٨:٥٩، ١٠:٣١).

وهذا يعني أن الذين يسلّمون أنفسهم بدون قيد أو شرط لابن الله، يحصلون في الحال على الحياة الأبدية. أما الآخرون، وإن لم يكونوا جميعهم أشراراً، بل في الغالب متدينين، يؤمنون بابن الله ويصلّون إليه، ولكنهم يرفضون طاعته، هؤلاء لا يرون الحياة الأبدية، بل يمكث عليهم غضب الله (يو ٣:٣٦) وهم يعتبرون خبر المسيح المصلوب جهالة أو عثرة، وهكذا يندفعون إلى هلاكهم. أما التائبون، فالكرازة تهبهم قوة الخلاص (١كو ١:١٨).

والذين يزعمون بأنهم أصحاب الوعي، وفي نفس الوقت لا يريدون أن يعرفوا شيئاً عن الرجوع العملي، أو عن الميلاد الثاني، أو عن معمودية الروح، أو عن مواهب النعمة، أو عن قيادة الروح، أو عن التقديس التام، أو عن الاختطاف، إلخ، فهؤلاء يكونون حسب تصريحات الكتاب الواضحة في خطر أن يضلوا عن هدف ملكوت الله (عب ٢:١، يو ٣:٣،٥، مت ١٨:٣، رو ٢:٥،٦،١٣، عب ١٢:١٤، مت ٢٥:١٠ــ١٢). أما الذين يقبلون كلمة ربهم كأطفال،

ويطيعونه بعزم، ويثقون به أنه قادر أن يعمل ما وعد به، أي «أن يخلِّص خلاصاً كاملاً، ويقدِّس إلى التمام» ويحفظهم ويكملهم إلى يوم مجيئه (رو ٤: ٢١، عب ٧: ٢٥، ١تس ٥: ٢٣، فيلبي ١: ٦) فإنهم يختبرون الفداء الكامل في حياتهم اليومية، ولذلك يستطيعون أن يرنموا بفرح، عن الانتصار في وسط البؤس والفوضى وعبودية الخطية في العالم الشرير والعالم المتديّن (مز ١١٨: ١٥).

وهكذا يكون يسوع هو حجر الزاوية المختار والكريم، الذي لا يُخيِّب أمل المتكلين عليه. وفي نفس الوقت، يكون هو حجر العثرة وحجر الصدمة للذين لا يطيعون الكلمة المكتوبة عنه: «كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض» (١بط ٢: ٦ــ٨، لو ٢٠: ١٨). وبذلك يصبح سفراؤه «لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك رائحة حياة لحياة» (٢كو ٢: ١٦) «شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان» (٢كو ٢: ١٤).

الخاتمة: «لبنيان النفوس»

وصلنا إلى نهاية بحثنا، وقد اتضح لنا عظمة السلطان وبهاؤه، وفي نفس الوقت عظم المسئولية الموضوعة على عاتق أصحاب سلطان المسيح. وربما اكتشف أحدنا أنه ينقصه ختم الدعوة الإلهية لهذه الخدمة. ولكن كل من عزم حقاً على تسليم نفسه لرأس الكنيسة يسوع تسليماً كاملاً أي بكليته وجملته وعزمه الكامل، لا حاجة له أن ييأس. وليس المقصود بما قيل أن يوضَع علينا نير الأحكام والفرائض. فالمطلوب هو أن نرتعد، لا أن نهرب مذعورين. فإنه مكتوب «إن عينيّ الرب تجولان في كل الأرض، ليتشدّد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (أخبار الأيام الثاني ١٦:٩). إن الله يطلب أناساً يعبدونه بالروح والحق (يو ٤:٢٣) ويضعون أنفسهم تحت تصرفه، للعمل في كرمه بكل إخلاص. ولا يزال الثالوث الأقدس يسأل قائلاً: «من أرسل ومن يذهب من أجلنا» (إشعياء ٦:٨).

قال الأستاذ سبيمَن: «إن الأذكياء يسيطرون على كنيستنا،

ومن المؤلم أن المتعلمين لا يترفقون بالجهلاء، وهذه خسارة عظيمة للكنيسة. إن الفرض الذي تفرضه الكنيسة على سفراء يسوع، بأن يتعلموا دروساً علمية، ليصيروا أصحاب شهادات جامعية لهو من بقايا شريعة العهد القديم، ويخالف كلمات يسوع بالتمام الذي شكر الآب لأنه أعلنها للبسطاء» (مت ١١: ٢٥، ١كو ١: ١٩—٢١، ٢: ٢٧—٣١).

وهناك بعض الذين يتأكدون من حقيقة دعوتهم، لكنهم ربما يحزنون عندما يشعرون بأن إعدادهم للخدمة غير كامل. ولهؤلاء أيضاً أستطيع أن أقول: اطمئنوا! فما دام الإعداد اللازم للخدمة لا يتوقف إلا على سلطان روح المحبة، فإن الله لن يمنع مواهبه هذه عن الذين قدَّموا ذواتهم كآنية قابلة للتفريغ من كل أنانيتها بنعمة الله وتأديبه، ومستعدة للامتلاء بالقوة من الأعالي. فالرب نفسه قد وعد «إن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه» (لو ١١: ١٣، أع ٥: ٣٢) وهذا يتم على أساس الطاعة.

أفلا يجب أن نتشجع ونثق به، عندما نرى كيف أقام الله شهوداً عديدين وأبطالاً متنوعين في بداية هذا القرن في

جميع أنحاء العالم وأيضاً في بلادنا، حتى ذكَّرتنا أعمالهم بأخبار أعمال ارسل الأولين. وبذلك قد برهن الله على ضعف إيمان جنسنا، وأثبت بأجلى وضوح، خصوصاً لنا نحن اللاهوتيين، قليلي الإيمان، المعترضين في كثير من الأحيان على كلمته الثابتة، شكوكنا وتحديدنا وشروطنا وحججنا. وأكد أنه لا يحدد وعداً واحداً من مواعيده بزمان، وأنه لم يسحب منها وعداً واحداً، بل بالحري يقصدها لنا فعلاً وحقاً. وهو مستعد في وقتنا الحاضر أن ينجزها، حالما تتوفر لدينا الشروط والمؤهلات لذلك. وهذا يعني كما عرفنا وتأكدنا من حقيقة افتقارنا واشتياقنا الملتهب إلى الامتلاء بالله وعزمنا الثابت على أن نطيع الطاعة الكاملة في محبة المسيح. وهكذا يجب أن لا ننظر إلى ضعفنا و لا إلى عجز مسيحية أيامنا، بل إلى أمانة إلهنا الذي لا يزال اليوم اسمه يهوه «الدائم الأزلي المستعد لإنجاز كل ما وعد به». فإن الله ينتظر منا أن نقبل كلمته بكل جد، كما يعيِّنها هو وأن نعبِّر ببساطة الأطفال على إنجازها.

قال الأستاذ كويرلي: «عرف بولس أن له وللكنيسة «امتلاء إلى كل ملء الله» (أف ٣:١٩) بل إنه يتجاسر أن يتكلم عن التغيّر إلى

شبه الله كحدَث حاضر، من مجد إلى مجد كما من الرب الذي هو الروح» (٢كو ٣:١٨).

وقال الأسقف نيوملر: «ليس لنا أن نسأل كم نثق بأنفسنا، بل علينا أن نسأل إن كنا نثق بكلمة الله، إنها كلمة الله فعلاً وتعمل كما تقول».

وبهذا لا نقدر أن نرفض الاستماع إلى قول الرب المقدس، الذي لا يقبل الجدل، الموجَّه إلى الرعاة غير المدعوين في العهدين القديم والجديد وهو: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم، ولا تَدَعون الداخلين يدخلون» (مت ٢٣:١٣). وفي (حزقيال ٣٤:١٠ـــ١٩) قال السيد الرب: «هأنذا على الرعاة وأطلب غنمي من يدهم وأكفّهم عن رعي الغنم... هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها... وأخلّصها من جميع الأماكن التي تشتّتت إليها» قابل (إرميا ٢٣:٢١ـــ٢٥، إشعياء ٣:١٤، ٨:٨ـــ١٣، إرميا ٧:٨، عاموس ٥:٢١، إشعياء ١:١١ـــ١٥، إرميا ١٤:١٣، إرميا ٥:٢٢،٢٩).

قال الأستاذ هَيم: «يمكن أن تكون خدمتنا لله رجساً، حتى لا يقدر أن يتحملها، ولا أن يتحمل صلاتنا، إذا كانت حياتنا في

البيت وفى العمل مخالفة لما نعمله في الكنيسة. يستطيع الله أن يقبل خاطئاً مسكيناً متى جاء إليه بإخلاص، أما الكذاب فلا يستطيع أن يقبله... وفي نظر الله نكون جميعنا كذابين إن كنا هنا نضم أيدينا ونصلي، وفي بيوتنا نعمل عكس ذلك».

وقال القس براون رئيس الرعاة: «إن تجديد الرعاة المتوظفين صعب جداً... وحالما يبدأ أحد يستخدم الشيء المقدس إستخداماً عادياً وطائشاً ومهملاً، تبدأ فيه دينونة التقسي سراً».

أما الشروط التي لا بد منها لتجديد عمل الله في بلادنا، فهي خضوع كنيسة الله خضوعاً عميقاً وخالصاً وتوبتها عن الذنب العظيم الذي سبَّبه فتورنا وكسلنا وعدم إيماننا وعصياننا وعجرفتنا واكتفائنا. ولا شك في أن الله سيقيم لنا في أيامنا رجالاً يُنهِضون مسيحيتنا «اللاودكية» بالسلطان النبوي، ويدعونها إلى الخضوع والرجوع لأن كلمة الرب المرتفع تقول «اذكر من أين سقطت» (رؤ ٢: ٣—٥) ولذلك يلزم علينا أن ننزل عن طريق الخضوع إلى الحضيض، الذي سقطنا إليه منْ علو معرفة الله في العهد الجديد وشركة المسيح وملء الروح. ولكن حتى وقتنا هذا، نحن لا نرى أى أثر لهذا الخضوع، لذلك لا يستطيع الله أن يهبنا حرارة النهوض المطلوبة في بلادنا.

قال رئيس مجلس الأساقفة القس ديباليوس: «إن نار الإيمان، التي نحن بحاجة ماسة إليها لم تتَّقد عندنا بعد. وهذا افتقار لا يعوَّض عنه التدقيق في الوعظ أو تجديد الطقس الذي يهتم به الكثيرون في أيامنا الحاضرة».

وقال رئيس مجلس الأساقفة القس همبرج: «كل بركة تبدأ بالتواضع. وإن ما لدينا من معرفة الله كافٍ لتبشير العالم بأسره، فإن افتقارنا ليس إلى المعرفة بل إلى قوة الروح القدس وحضوره الفعال».

وهكذا كتب إليَّ مؤخراً أحد المؤمنين يقول: «كل جسد كعشب، وكل كياننا ومعرفتنا وقدرتنا هي رجس في عيني الرب، وهذه يجب أن تموت». إن الله يريد أن روحه يهب علينا، وأن كلمته تشتعل فينا، حتى يبعد أزهار الغش وأثمار السم من بستانه. ويلٌ لنا، لأننا قد أخطأنا ضد الله وضد كلمته. فنحن نقرأ الكلمة ونتكلم عنها، ولكننا لا نحفظها، ولا نريد أن نخضع لحقها، بل نفضِّل البقاء في أفكارنا وظنوننا، ونحن نعرف ما هو مكتوب: «لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي قال رب الجنود» (زكريا ٤:٦). ولكن مَن منا يتأنى على روح الله، بحيث لا يعمل شيئاً بدونه؟ أليس روحه

روح العبادة؟ أين هي صلواتنا بالروح؟ أين هو السجود بالحق؟ ألسنا جيلاً غير تائب وشعباً عاصياً نحن المدعوين باسمه؟ نحن الذين نكرز بانجيله، وندعو أنفسنا سفراء عن المسيح؟ وأي نوع من السفراء نحن؟ ومن هو الذي أرسلنا؟ هل سألنا الملك وهل قبلنا التفويض منه فعلاً؟ وهل أحرقت نارُه شفاهَنا (إشعياء ٦:٥ـ٧)؟ وهل سمحنا بأن يطهر روحُه قلوبَنا ويجددها (حزقيال ٣٦:٢٦)؟ فكيف يباركنا وكيف يُحيينا إن كنا نحن الوعاظ والمبشرين تحت لعنة نجاستنا وعصياننا وعدم توبتنا واطمئناننا الكاذب وادعائنا الباطل؟ ليتنا عرفنا ما هو لسلامنا. نحن نحتقر تلاميذ الرب الحقيقيين، ونظن السوء في خدامه ونديهم. ألا يجب بالحري، أن ندين أنفسنا ونتوب ونُخضع ذواتنا، لكي يحكمنا روح الله؟ ألا يجب أن نطلب روح الحق ليرينا خطايانا ودينونته؟».

عندئذ فقط يستطيع الرب أن يعيننا، ويعود ويفتح أبواب السماء ليسكب علينا بركاته الغزيرة، فينفتح الطريق المؤدي إلى الانتعاش وإلى تلك النهضة المسيحية التي نتوق إليها ونحتاجها، ويفسح المكان لإعداد كنيسة الأبكار وتكميلها ليومها العظيم.

قال رئيس الرعاة القس كوجل: «كما أُستعلن الرب في الزمان الغابر في الكنيسة، هكذا يريد أن يلتقي بها مرة أخرى. انتظر الرب واصبر له ـــ ها قد ارتعدت السماء وكأنها تريد أن تمطر».

ونريد الآن أن نلفت أنظارنا إلى أنها الساعة الأخيرة وفرصة النعمة الأخيرة. أجل، إنها الساعة الأخيرة (ايو ٢:١٨، عب ١٠:٣٧) الحصاد كثير! ليت هنالك فعلة أكثر، يقبلون الاستعداد لهذه الخدمة! ليت هنالك خدام أكثر يقومون، وتقشعر أبدانهم بسبب ضيق الناس واحتياج الإخوة! وليت هنالك كهنة يقفون بين الله والناس الضالين المحملين بالذنوب والخطايا. الرب ينادي! من يأتي؟

وعلى هذا تصدق الآية «لما رأى يسوع الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها. حينئذ قال لتلاميذه: الحصاد كثير، ولكن الفعلة قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعَلة إلى حصاده» (مت ٩:٣٦ــ٣٨). وقال الرب أيضاً: «أعطيكم رعاة حسب قلبي، فيرعونكم بالمعرفة والفهم» (إرميا ٣:١٥). ويقول أيضاً «هأنذا صانع أمراً جديداً. الآن ينبت. ألا تعرفونه؟... ومن اليوم أنا هو ولا منقذ من يدي. أفعل ومن يرد؟» (إشعياء

٤٣: ١٣، ١٦ــ ٢١ وقابل إشعياء ٢٦: ٦ــ ١٣، ٣٣: ١٤، إرميا ٣: ٢١، حزقيال ٣٧: ٢٦).

«والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا... والقادر أن يحفظكم غير عاثرين ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج... له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين» (أفسس ٣: ٢٠، ٢١، يهوذا ٢٤).



مسابقة كتاب

«سفراء المسيح»

عزيزي القاريء

بعد ماقرأت هذا الكتاب، اضع امامك هذه الأسئلة. فكر فيها ثم دعنا نتشارك فى معرفة اجابتك عليها.

١ـ متى يستطيع الإنسان أن يكون خادماً لله؟ قدم نموذجاً من الانجيل لذلك.

٢ـ ما هو السلطان الذي يتوقف عليه نجاح خادم الله؟

٣ـ ما معنى أن «يدفن الإنسان» أنانيته؟

٤ـ ما هي الروح الحقيقية لتأدية الشهادة للمسيح؟

٥ـ كيف ينال خادم المسيح برهان الروح والقوة؟

٦ـ ما هي أهم موهبة تنقص الكنيسة اليوم؟

٧ـ ما هي الخدمة التي يقوم بها خادم الله في المقادس؟

٨ـ ما هي الخدمات الثلاث التي يقوم بها خادم الله بين الناس؟

٩ـ ما هي أهمية الآيات والعجائب في الشهادة للمسيح؟

١٠ـ اذكر أهداف خدمة خدام الله، بحسب أولويّاتها.

١١ـ كيف يخلص الإنسان؟

١٢ـ ما هي فائدة الاعتراف بالخطية أمام الأخ، وليس فقط أمام الله؟

١٣ـ كيف نحصل على التقديس؟

١٤ـ ما هو هدف مجيء المسيح ثانية لأرضنا؟

١٥ـ كيف نحلّ النفوس التي قيّدتها قوى الشيطان؟

١٦ـ ما الذي يسبب تبكيت أعماق ضمائر السامعين؟

١٧ـ على أي شيء يتوقف التجهيز الكامل لخدمة الرب؟

١٨ـ متى لا يقدر الله أن يتحمل صلاتنا ولا خدمتنا؟

١٩ـ جاوب بالنيابة عن نفسك على الأسئلة الموجودة في النصف الثاني من صفحة ٩٣ بهذا الكتاب.

٢٠ـ اكتب ما جاء في أفسس ٣: ٢٠، ٢١ ورسالة يهوذا آية ٢٤.



سفراء المسيح

الفهرس

إن الله

لم يعطنا روح الفشل

بل روح القوة والمحبة والنصح

٢ تيموثاوس ١: ٧

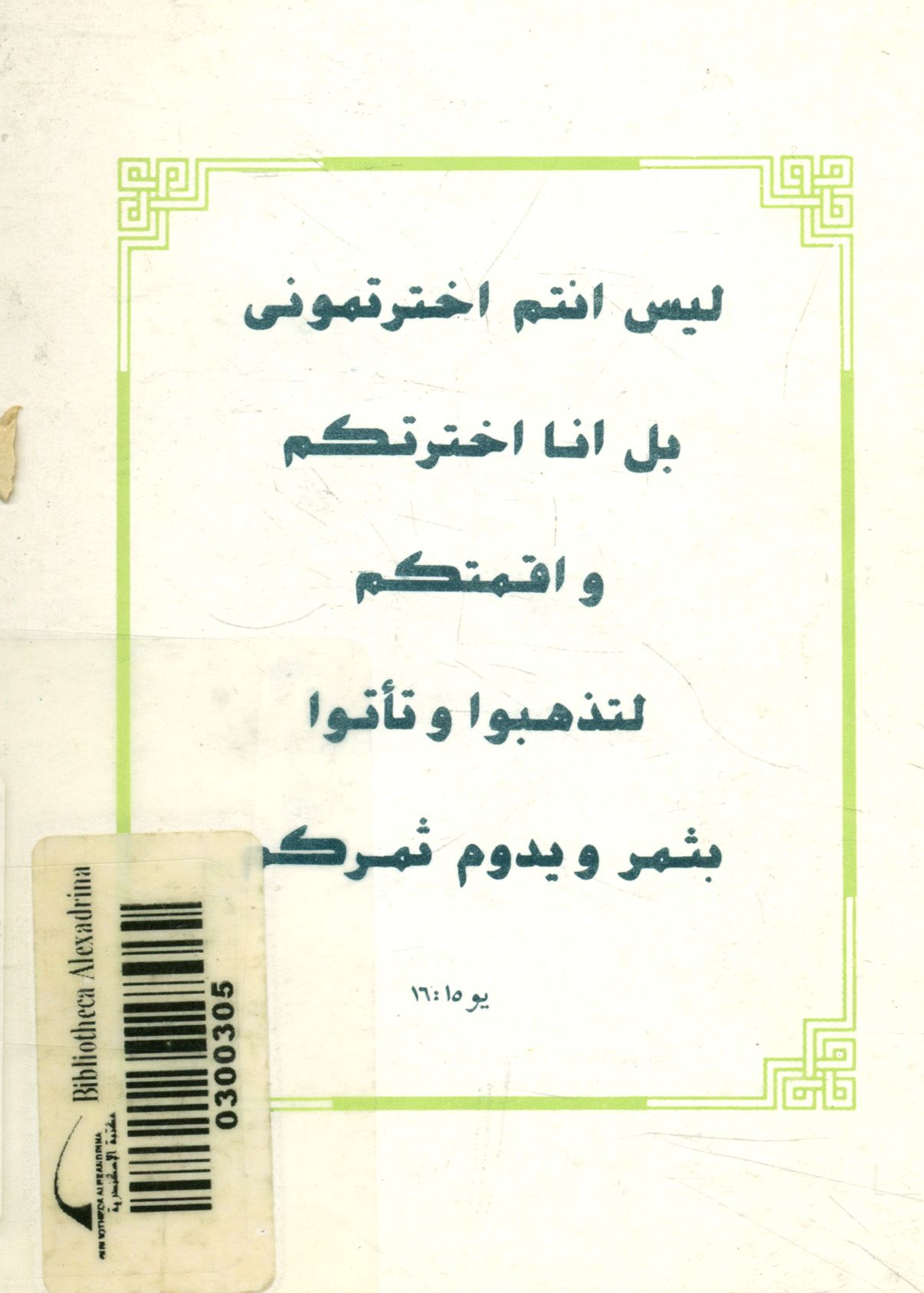
جمع تصويرى ـ اخراج فنى ـ طباعة

لوجوس برنت سنتر

٧ شارع ابو المحاسن ـ مصر الجديدة

خلف نادى هليوبوليس

رقم الأيداع : ١٩٨٩/٥٩٢٦


ليس انتم اخترتمونى
بل انا اخترتكم
و اقمتكم
لتذهبوا و تأتوا
بثمر و يدوم ثمرك
يو ١٥ :١٦